اقرأ

لة ثقافية شهرية
ر عن دار المعارف

دكتور صلاح بيومي

التنشئة والتحديث

الطفل بين الواقع والمستقبل



اهداءات ٢٠٠٣

د / صلاح بيومى



سلسلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار المعارف

[٦٨٠]

رئيس التحرير: رجب البنا

مدير التحرير:
كريمة متولى

تصميم الغلاف:
عزيزة مختار

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

دكتور صلاح السيد بيومى

التنشئة والشخصية

الطفل بين .. الواقع والمستقبل



دار المعارف

إن الذين عنوا بإنشاء هذه السلسلة ونشرها ، لم يفكروا إلا فى شىء واحد ، هو نشر الثقافة من حيث هى ثقافة ، لا يريدون إلا أن يقرأ أبناء الشعوب العربية . وأن ينتفعوا ، وأن تدعوهم هذه القراءة إلى الاستزادة من الثقافة ، والطموح إلى حياة عقلية أرقى وأخصب من الحياة العقلية التى نحياها .

طه حسين

إهـــــداء

إلى الأستاذ الدكتور / عبد الهادى محمد والى

أستاذ علم الاجتماع وعميد آداب طنطا (سابقا)

عرفانا منى بعلمه وفضله

مقدمة

أثار فكرة هذا الكتاب عندى ما رأيته من اهتمام القيادة السياسية فـى أعلـى مسـتواها بشـئون الطفـل والطفولـة، واعتبارهـا لعقـد التسعينات من القرن العشرين عقد حماية الطفل المصـرى ورعايتـه، فصـدرت وثيقـة الطفـل الأولى، ثـم صـدرت الوثيقـة الثانيـة للعقـد الثـانى للطفـل لعشـر السـنوات الأولى مـن القـرن الحـادى والعشـريـن ٢٠٠٠-٢٠١٠.

ثم ما قامت به السيدة الفاضلة حرم السيد رئيس الجمهورية من مجهودات ونشاطات متواصلـة فـى مجال الطفـل والطفولـة، وبصفـة خاصـة فـى تظاهرة مهرجان القـراءة للجميـع، وإصـدارات مكتبـة الأسرة، ثم توجت جهودها المتـازة بـإعلان تشكيل المجلس القومـى للطفولـة، واشـتراكها فـى كـل مؤتمـرات ونـدوات ومـهرجانات الطفولة محليًـا وعربيًا ودوليًا، فهى لا تـألو جهدًا مـن أجل خدمـة الطفل والطفولة لإيمانها بأهمية هذه المرحلة العمرية لأنـها الأسـاس الذى يضع بذور رجال المستقبل أو المواطن الصالح.

ثـم إيمـانى الشـخصى بأهميـة عمليـة التنشـئة الاجتماعيـة والثقافيـة فـى إعـداد الطفـل - رجـل الغـد - مـع ملاحظـة أن هـذه

العمليـة لا تـؤدى دائمًا أو بـالضرورة إلى تكويـن شـخصية سـوية أو متكاملة، فقد تفشل عملية التنشـئة الاجتماعيـة والثقافيـة للطفـل فـى إحـدى مراحلها أو مؤسساتها لسبب أو لآخـر يتعلـق بـالعوامل الوراثية أو العوامل الاجتماعية والثقافيـة المكتسبة، لذلـك رأيـت فـى هذه الحالة ضرورة وضع رؤية مسـتقبلية لعمليـة أخـرى هـى إعـادة التنشـئة الاجتماعيـة والثقافيـة لتـدارك مـا قـد يكون قـد وقـع مـن أخطاء.

وفـى هـذا الصـدد اسـتعنت بـالفصل الأول مـن أطروحتـى للدكتـوراه، وجعلتـه نقطـة ارتكاز أو محورًا لهـذا الكتـاب، وقمـت بإجراء بعض التعديلات والتنقيح والحذف والإضافـة، حيـث أضفـت فصـلاً كـاملاً عـن الطفـل والحقـوق والقيـم بـين الواقـع والرؤيـة المستقبلية مـن خـلال إعـادة التنشـئة الاجتماعيـة والثقافيـة، كمـا أضفت فصـلاً آخـر عـن الطفـل والتربيـة الحديثـة حيـث إن التنشـئة والتربيـة أو التعليـم همـا جناحـا عمليـة إعـداد الطفـل للحيـاة، ثـم ختمـت الكتـاب بخاتمـة عـن ظـاهرة أو مشـكلة التسـرب المدرسـى.. أسبابها ووسائل علاجها، لأنـها مـن العوائـق أمـام اسـتمرار واكتمـال العملية التعليمية ووصولها إلى نهاية المطاف لما ترجو وتريد الدولة.

ولذلـك قسـمت الكتـاب إلى خمسـة فصـول جعلـت الفصـل الأول يدور حول عملية التنشـئة الاجتماعية والثانى حول عملية التنشـئة الثقافية، أما الفصل الثالث فيدور حـول ظاهرة التفـاعل بـين الفـرد والبيئـة والمجتمـع وأثـر ذلـك كلـه علـى تحديـد ملامـح وسمـات

الشخصية، كما يتضمن هذا الفصل أيضًا موضوعًا عن الشخصية بصفة عامة من منظور علم النفس وعلم الاجتماع والإنثروبولوجيا. ثم عرضت للشخصية المصرية وأهم سماتها وملامحها وقيمها الاجتماعية الأصيلة والقيم الأخرى السلبية التى دخلت على الشخصية فأثرت فيها تأثيرًا سلبيًا نتيجة مجموعة من العوامل المختلفة، سواء عوامل داخلية أم عوامل وافدة من الخارج. أما الفصل الرابع فيدور حول الطفل بصفة عامة والطفل المصرى بصفة خاصة، ومرحلة الطفولة، وحاجات الطفل الأساسية والمكتسبة. ثم حقوق الطفل والقيم الاجتماعية التى يتلقاها من عملية التنشئة الاجتماعية والثقافية والقيم الإيمانية الأصيلة والقيم السلبية الفاسدة التى تأثر بها الطفل سواء من عوامل داخلية أم عوامل خارجية ويتلقاها من جميع مؤسسات التنشئة الاجتماعية والثقافية، ثم قدمت رؤية للإصلاح تقوم على أساس عملية إعادة التنشئة الاجتماعية والثقافية والتى تستند إلى خمسة محاور أساسية، وفى الفصل الخامس عرضنا لموضوع الطفل بين التنشئة والتربية وخاصة التربية الحديثة وبعض مشاكل الطفولة المدرسية، ثم خاتمة عن مشكلة التسرب المدرسى ورأينا فى إمكانية الحد منها أو القضاء عليها.

وقد اعتمدنا فى عرض موضوعات هذا الكتاب على المنهج الوصفى التحليلى المدعم أحيانًا بمنهج المقارنة والرؤية الذاتية أو الشخصية.

وكان هدفنا دائمًا في هذا الكتاب هو.. نظرة تشريحية لموضوعاته لإلقاء الضوء عليها والتعرف على الإيجابيات والسلبيات، ثم محاولاً - بجهدٍ متواضع - وضع تصور أو رؤية مستقبلية للإصلاح أو التغيير والتطوير.

وأخيرًا.. أرجو أن أكون قد ساهمت بهذا الجهد المتواضع في وضع لبنة من لبنات الإصلاح والتطوير في مجال الطفل والطفولة، أو وضع تصور لإعداد رجل الغد أو رجل المستقبل ليكون مواطنًا صالحًا.

د. صلاح بيومى

الفصل الأول

التنشئة الاجتماعية

١ - تمهيد.

٢ - التفسير السوسيولوجى لعملية التنشئة الاجتماعية.

٣ - طبيعة عملية التنشئة الاجتماعية.

٤ - تعريف التنشئة الاجتماعية.

٥ - مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

٦ - أهداف التنشئة الاجتماعية.

٧ - شروط نجاح عملية التنشئة الاجتماعية.

- عملية إعادة التنشئة الاجتماعية.

التنشئة الاجتماعية
Socialization

١ - تمهيد :

فى البدء كان التفكير الإنسانى يتجه نحو الوجود أو الكون، يبحث فى أصله وعناصره الأولى، وخالقه أو صانعه. ثم جاء الفيلسوف اليونانى «سقراط» وقال عبارته الشهيرة التى وجدها منقوشة على معبد «دلفى» وهى: (اعرف نفسك بنفسك) وهنا تحول التفكير الإنسانى من البحث فى الوجود أو الكون إلى البحث فى الإنسان.. عن أصله وعناصره الأولى وحياته ومماته ومبعثه، وبذلك أصبح الإنسان محور كثير من العلوم المختلفة.. البيولوجية والاجتماعية أو الإنسانية. ولكن كل علم من هذه العلوم كان يبحث أو يدرس الإنسان من ناحية أو زاوية تختلف عن العلم الآخر.

ونستطيع القول إن هذه العلوم قد انقسمت أو اتجهت فى دراستها للإنسان إلى محورين.. المحور الأول يتعلق بكل ما هو وراثى فى الإنسان.. أى يولد مزودا به، وهذا هو اختصاص أو مجال العلوم البيولوجية.. أما المحور الثانى فإنه يتعلق أو يدرس كل ما يكتسبه الإنسان من خلال مراحل نموه وتطوره. وهذا هو اختصاص أو ميدان العلوم الاجتماعية أو الإنسانية ولذلك يردد العلماء أو الباحثون دائما مقولة: إن الإنسان ابن الوراثة أو البيئة. وتشمل

البيئة كل ما يحيط بالإنسان، وهى التى تكسب الإنسان الخلفية أو البعد الاجتماعى والذى يتمثل فى أسلوب الحياة الاجتماعية السائد فى المجتمع والذى يكتسبه عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية والتى يسميها أحيانا بعض العلماء أو الباحثين الاجتماعيين والتربويين باسم: عملية «التطبيع أو التشكيل الاجتماعى».

ولقد حظيت عملية التنشئة الاجتماعية باهتمام المفكرين والباحثين فى عدد من العلوم الاجتماعية أو الإنسانية، وذلك لما لها من أهمية فى إكساب الفرد طابعه أو صفته الاجتماعية ومنحه أو تزويده بالأبعاد الاجتماعية التى تمكنه من الحياة فى المجتمع أو ممارسة حياته الاجتماعية على أفضل وجه. كما أنها تؤثر إلى حد كبير فى تحديد سمات شخصيته الإنسانية بما ينعكس على سلوكه وتصرفاته وقراراته إزاء المواقف الاجتماعية المختلفة التى يتعرض لها فى مراحل حياته.

وكل علم من هذه العلوم ينظر إلى عملية التنشئة الاجتماعية من منظور تخصصه واهتمامه فمثلا ينظر الإنثروبولوجيون إليها على أنها عملية تثقيف acculturation بينما يراها علماء الاجتماع عبارة عن عملية اكتساب acquisition معايير اجتماعية social norms أما علماء النفس فيرون أنها عبارة عن عملية تعليم للقيم learning of values [1] ومن وجهة نظر علم

---

(1) Seidnberg. Bernard & snadowsky, A., social psychology: An Introduction, The free press, Adevision of Macmillan Publishing Co., Inc., New York, 1976, p. 88.

الاجتماع السياسى فإن عملية التنشئة الاجتماعيـة يمكنـها أن تقـوم بدور تدريبى هام فى تشكيل الفرد طبقا لاهتمامـات المجتمع. ومـن هنـا «تعتبر دراسة التنشئة الاجتماعيـة علـى وجـه العمـوم أحـد موجهات دراسة التنشئة الاجتماعية[1]».

٢ - التفسير السيوسيولوجى لعملية التنشئة الاجتماعية:

يعتبر عالم الاجتمـاع «كـولى C.H. Cooley» وزميله ومعـاصره «ميـد C.H. Mead» مـن أهـم العلمـاء الذيـن أعطـوا تفسـيرا سوسـيولوجيا لعمليـة التنشـئة الاجتماعيـة. وذلـك عندمـا قـال «كـولى» بفكرتـه عـن صـورة الـذات Self-image أو مـا أطلق عليـه اصطلاح «مـرآة الـذات looking-glass self» وكـذلك فكـرة «ميـد» عما أسماه: الآخرين المؤثرين (أو المسيطرين) significant others فـى الطفل، والـذى كـان يعنـى بهم الآباء، ثـم المعلمين والأصدقـاء بعـد ذلك[2]. كمـا يـرى أيضـا أن الأهميـة الوظيفيـة للآخريـن المؤثريـن تطغـى أو تؤثـر بشـدة علـى صفـات أو خصـائص الفـرد أو الآخريـن المؤثرين أنفسهم[3].

---

(١) إسمـاعيل علـى سـعد، مقدمـة فـى علـم الاجتمــاع السياســى، دار المعرفـة الجامعية، ١٩٩١، ص ٣٣٣.

(2) Yoburg, Betty, introduction to socciology Harper & Row, publishers, New York, 1982, p. p. 101-102.

(3) Cvetkovich, Gearge & others, social psychology: contemporary perspectives on people, Holt, Rinehart and Winston, New York, 1984, p. 125.

إن تصور «كولى» لفكرة (مـرآة الـذات) قـد وافقـه عليها معظم علماء الاجتماع . وتتلخص فكرته فـى أن (مـرآة الـذات) تنمـو مـن خلال التفاعل المتبادل بين الأفراد.. فنحـن نستطيع أن نـرى أنفسنا فـى ردود أفعـال الآخريـن أو اسـتجاباتهم لأفعالنـا سـواء أكـانت حقيقيـة أم خياليـة. وبذلـك فإن تصور الـذات يمكـن أن ينمـو مـن خـلال ملاحظـة الآخريـن وتفسـير اسـتجاباتهم والتفـاعل معـهم. وتفسيرات الفرد التى يكونها وتقوم على الاستجابات التى يلاحظها أو يشعر بها إنمـا تؤثـر فـى تصـوره لذاتـه. ومـع أن هـذه العمليـة تـدوم طـول العمـر، فهى هامـة جـدا خاصـة أثنـاء التنشـئة الاجتماعيـة الأولى[1].

ويرى بعـض علمـاء الاجتمـاع أن مـرآة الـذات عنـد «كـولى» هـى المجتمـع الـذى يعمـل كمـرآة، والـذى يجعـل مـن المكـن ملاحظـة التفاعل مع الآخرين فى سلوكهم الخاص[2].

أمـا «ميـد» فقـد قـام بدراسـة فكـرة «كـولى» عـن مـرآة الـذات ووضع نظرية فحواها «أن الذات ليست شيئا thing وإنما هـى عمليـة process.. وهذه العملية يمكن معرفتها من خلال التفاعلية الرمزيـة symbolic interactionism »[3].

---

(1) Sites,paul, Control and constraint: An introduction to sociology, macmillan publishing co., Inc., New York, 1975, P. 71.

(2) Cohen, Bruce, J. Introduction to sociology, schaum's outline series, McGraw-Hill Book company, New York, 1979. P. 46.

(3) Saks, Michael, J., & Krupat, Edward, Social Psychology and its applications, Harper & Row, Publishers, New York, 1988. p. 86.

٢ - طبيعة عملية التنشئة الاجتماعية:

أسهم «ميد» فى تفسير طبيعة عملية التنشئة الاجتماعية بفكرته عن التفاعلية الرمزية التى تقوم على تصور الاحتمالات الممكنة التى تواجه عملية التفاعل بين الأفراد. فالذات تتكون من خلال عملية التفاعل التى تستند على مشاركة المعانى التى تعطى الرموز، والتى يمكن فهمها من خلال تفاعل الفرد مع الآخرين الذين يلعبون دورا كبيرا فى نمو الذات[1] فالتفاعلية الرمزية حسب قول الدكتور عاطف غيث «تنظر إلى كل سلوك أو فعل مستمر بين شخصين على أن له تاريخه الخاص، وانتظامه وتكراره على أساس التوحد أو التعريف المشترك للموقف بين هذين الشخصين»[2].

وعلى ذلك يمكن القول إن تفسير طبيعة عملية التنشئة الاجتماعية عند كل من «كولى» و «ميد» تقوم أساسا على فكرة نمو الذات الاجتماعية عند الطفل والتى تحوله من مجرد كائن بيولوجى إلى كائن اجتماعى. ويشارك «فرويد» كل من «كولى» و«ميد» فى ذلك أيضا بفكرته عن« الأنا الأعلى» التى تكسب الطفل صفته الاجتماعية أو الإنسانية، والتى تمكنه من التفاعل مع الآخرين والتعامل مع البيئة أو المجتمع الذى يعيش فيه[3].

---

(1) Sites, Paul, op. Cit., P. 72.

(٢) محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩، ص ٤٧٩.

(3) Sites, paul, op. Cit., p. 74.

ومن الجدير بالذكر هنا أن عملية التنشئة الاجتماعية ليست عملية تحدث فقط فى مرحلة الطفولة ثم تتوقف، إنما هى عملية مستمرة طوال حياة الفرد lifelong[1]. فالإنسان خلال مراحل حياته عرضة لمواقف جديدة تتطلب منه قدرة على مواجهة هذه المواقف والتكيف معها. «فالمشاركة المستمرة فى مواقف جديدة تتطلب إعادة تنشئة مستمرة يقوم بها الفرد بنفسه ولنفسه حتى يتمكن من مقابلة المتطلبات الجديدة للتفاعل»[2] ولذلك نجد علماء الاجتماع يتحدثون عما يسمى بعملية «إعادة التنشئة الاجتماعية Resocialization » وهى تلك العملية التى يقوم بها الكبار الراشدون بأنفسهم لأنفسهم خلال تغير وظائفهم أو وضعهم الاجتماعى فى المجتمع.

٤ – تعريف التنشئة الاجتماعية:

● من كل ما تقدم يمكننا أن نستخلص بعض التعريفات لعملية التنشئة الاجتماعية:

يعرفها « يوربورج .Yorburg B » بأنها العملية التى يتعلم الأفراد من خلالها الطرق المثالية للتفكير والسلوك ومشاعر جماعاتهم ومجتمعاتهم[3].

---

(1) Kerbo, harold, R., Sociology: social conflict, Macmillan publishing company, New York, 1989, p. 173.

(٢) سناء الخولى، مدخل إلى علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٢، ص١٣٧.

(3) Yourburg, Betty, op. Cit., p. 111..

أما «كوهين بروس Cohen Bruce» فيعرفها «بأنها العملية التى يتعلم بها الكائن الإنسانى أن يصبح مشاركا فعالا فى المجتمع، حيث إنه من خلالها يتعلم التعاون مع أفراد المجتمع الآخرين والامتثال للمعايير الاجتماعية، وأن يقوم بدوره طبقا لقواعد المجتمع. وأثناء عملية التنشئة الاجتماعية ينتقل الميراث الثقافى Cultural Heritage عبر الأجيال، كما يكتسب الفرد شخصيته وصورة الذات»[1].

● ويقول «ستوب Staub Ervin» إن التنشئة الاجتماعية «تعرَّف عادة على أنها العملية التى تنتقل بواسطتها القواعد، وأنماط السلوك، والتوقعات، ومعرفة ثقافة الكبار التى تنتقل إلى الأطفال أثناء مرحلة نضجهم ونموهم»[2].

● وأخيرا يعرفها أحد الدارسين بأنها «علاقة تفاعلية بواسطتها يتعلم الشخص المتطلبات الاجتماعية والثقافية التى تجعل منه عضوا فعالاً فى المجتمع»[3].

من هذه التعريفات نستخلص أن التنشئة الاجتماعية هى العملية التى تحول الفرد من مجرد كائن بيولوجى إلى كائن

---

(1) Cohen, Bruce, J., opcit., P. 52.

(2) Staub, Ervin, personality: basic Aspects and cuarrent research, printice – hall, Inc. Englewood cliffs, N. J., 1980, p. 13.

(٣) محمد أحمد بيومى، المجتمع والثقافة والشخصية، دار المعرفة الجامعية، بدون تاريخ، ص ٥٢.

إنسانى اجتماعى، عن طريق تنمية ذاته، وتزويده بثقافة المجتمع التى تمكنه من التعامل مع الآخرين، ومع المواقف الاجتماعية المختلفة التى تجعل منه مواطنا صالحا وفعالا فى المجتمع. وهى تستند فى ذلك إلى عملية التفاعل الاجتماعى التى تتم بين الفرد وغيره من أفراد ومؤسسات التنشئة الاجتماعية.

- مؤسسات التنشئة الاجتماعية:

ونظرا لأن عملية التنشئة الاجتماعية «عملية تراكمية Accumulative» حيث يضيف الفرد خبراته التعليمية إلى بعضها، وهى أيضا عملية مستمرة «continuous»[1]، أى ديناميكية مستمرة طوال حياة الفرد، فقد اتفق علماء الاجتماع وعلم النفس الاجتماعى على أن التنشئة الاجتماعية تقوم بها عادة مؤسسات بعضها رسمى والبعض الآخر غير رسمى. وتأتى الأسرة فى مقدمة هذه المؤسسات، ثم جماعات اللعب، فالمدارس، ثم «وسائل الاتصال الجماهيرى mass media».[2]

وسوف نعرض لكل واحدة من هذه المؤسسات بشىء من التوضيح والشرح.

(أ) الأسرة: Family

هى الجماعة الأولى التى تستقبل الطفل وليدا، وتمثل الأسرة بالنسبة لأطفالها الصغار كل العالم المحيط بهم، وهى التى من

(1) Dressler, David, & carns, Donald, Sociology, second edition, Published by Alfred A. knopf. New York, 1973, p.p. 176-177.

(2) Kerbo, harold, R., op, Cit., p. 189.

خلالها تبدأ عملية التنشئة الاجتماعية. إن صورة النفس أو الذات عند الطفل تكون انعكاسا لشعور الأسرة نحوه كعضو مهم فيها، وعلى ذلك فإن فكرة الطفل عن نفسه وعن الناس من حوله، بل، وعن العالم أيضا تتأثر بطريقة مباشرة باتجاهات وقيم الأسرة ومعتقداتها ومعاييرها وبكل الثقافة والحضارة التى تمثلها والطبقة الاجتماعية التى تنتمى إليها. وعلى ذلك فالأسرة هى التى تحول الطفل من مجرد كائن بيولوجى إلى كائن اجتماعى يشعر بذاته وأنه مستقل عن ذوات الآخرين.

ولذلك يجب أن نعلم أن الأسرة ليست مجرد كيان بيولوجى أو فسيولوجى بين الأزواج والآباء، وإنما هى أيضا كيان أو نظام سوسيولوجى يحدد لكل عضو أو فرد من أفرادها عدة التزامات يلتزم بها كل عضو فى الأسرة تجاه الآخر من خلال مجموعة من الحقوق والواجبات يرتضيها المجتمع.

وإذا كانت الأسرة تتأثر بالبيئة الاجتماعية والثقافية المحيطة بها وبالظروف الاقتصادية السائدة أيضا فى المجتمع فإنها بالتالى تؤثر فى البناء الاجتماعى للمجتمع سواء سلبيا أم إيجابيا وذلك من خلال عملية التنشئة الاجتماعية لأعضائها، ومن هنا نقول: «إن تأثير الأسرة خلال فترة الطفولة يحدد بصفة نهائية بناء شخصية الطفل أو الفرد»[1]. ولكن يجب ألا نهمل أو نغفل دور الدولة فى

---

(١) ر. م ماكيفر وتشارلزبيج، المجتمع الجزء الأول، ترجمة السيد محمد العزاوى وآخرين، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧١، ص ٤٦٦.

مساعدة الأسرة فى التنشئة الاجتماعية لأفرادها، وذلك من خلال مجموعة القوانين والتشريعات التى تصدرها لصالح الأسرة والطفل. وقد يتمثل ذلك فى قوانين الأحوال الشخصية وقوانين رعاية الطفل والمرأة ومجلس رعاية الأمومة والطفولة.

(ب) المدرسة: School

إذا كانت الأسرة فى المجتمع البدائى مسئولة عن التنشئة الاجتماعية الأولى للطفل فإنه فى المجتمع المتحضر أو المتمدين يشارك الأسرة هذه المسئولية عدة منظمات أو مؤسسات رسمية لعل من أهمها المدرسة.

فالمدرسة هى المؤسسة الرسمية الأولى التى يستكمل فيها الطفل تنشئته الاجتماعية ابتداء من السنة الخامسة أو السادسة. ففى المدرسة يواجه الطفل بوسط اجتماعى جديد، وأفراد آخرين هم زملاء الدراسة وسلطة جديدة متمثلة فى المدير والمدرسين، ودور جديد هو التلميذ أو الطالب، ومعارف وخبرات جديدة سواء من الدروس التى يتلقاها أم من تعامله مع زملائه ومع إدارة المدرسة. وهذا ما قد يؤدى إلى نمو الذات الاجتماعية لديه أو إعادة تشكيلها طبقا للمتغيرات أو المتطلبات والمواقف الجديدة التى تصادفه وهو بذلك يكتسب مجموعة جديدة من الاتجاهات والاستعدادات وقواعد السلوك التى تؤدى إلى نوع من الضبط الاجتماعى الذى يوجه سلوكه واتجاهاته نحو مصلحته ومن ثم مصلحة المجتمع.

كما أن المدرسة تهيىء للتلاميذ إمكانية التكيف مع كل تغيير يحدث فى المجتمع وعلى ذلك فالمدرسة تصبح تنظيما وبناء

لمجموعة من القواعد التى يجب أن يتوقعها الفرد وعليه الطاعة والامتثال. وفى نفس الوقت تحاول المدرسة أن تشبع حاجات الطالب باعتباره فردًا حيث تتيح له العديد من الفرص والإمكانيات لإظهار قدراته فى الاختراع أو الابتكار وكسب المهارات والاتجاهات الاجتماعية.

(جـ) الجماعات الفرعية: Subgroups

تعتبر الجماعة الفرعية جزءًا من جماعة أكبر منها. وقد تعمل الجماعة الفرعية كوحدة وظيفية داخل جماعة كبرى، أو قد تكون مدمرة أو انقسامية[١]. والجماعة الفرعية مثل الأقارب أو الجيران أو أقران اللعب أو زملاء المدرسة. وهى تكمل وظيفة الأسرة بالنسبة للفرد. والسلطة فيها غير شخصية، على عكس الأسرة التى تكون السلطة فيها شخصية هى سلطة الوالدين.

ويحاول الطفل داخل الجماعة الفرعية أن يتفاعل مع أفرادها بنجاح وأن يجد لنفسه مكانا بين أعضائها، ويؤدى أدوارًا مختلفة.. فقد يلعب دور القائد لها، أو قد يكون تابعا فيها. وتصل الجماعة الفرعية إلى قمة تأثيرها على الفرد أثناء مرحلة المراهقة. «ومع أن الهدف الأساسى للجماعة الفرعية ربما يكون ترفيهيا بعد الأسرة، إلا أنه من المحتمل أن يكون لها تأثير كبير كمؤسسة للتنمية الاجتماعية»[٢].

---

(١) محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩، ص ٤٧٦.

(2) Cohen, Bruce, J., op. cit., P. 48.

ويجب أن نلاحـظ أن نـوع التنشـئة الاجتماعيـة فـى الجماعـة الفرعية يختلف عن نوع التنشئة الاجتماعية فى الأسرة، بل وفى المدرسة أيضا، ذلك أن الجماعة الفرعية تعطى الطفل قدرا من الحرية الشخصية أكبر من حريته داخل الأسرة أو المدرسة. حيث يعبر الطفل عن نفسه بطريقـة أكثر استقلالا، ويعتنـق قيما ومعايير مختلفة، كما يمارس أو يلعب أدوارا قد تختلف كثيرا عن الأدوار التى يمارسها داخل أسرته أو مدرسته.

(د) وسائل الاتصال الجماهيرى Mass Media

يشير هذا المصطلح إلى كل الوسائل أو الأدوات غير الشخصية التى عن طريقها يتم الاتصال بينها وبين المتلقين لها، دون تحديد لنوع المتلقين أو حجمهم أو حتى ثقافتهم.

ووسائل الاتصال الجماهيرى هى وسائل الإعلام المعروفة مثل الكتب والمطبوعات والصحف والمجلات والدوريات والتليفزيون والإذاعة والسينما والمسرح والفنون الأخرى. ويعرفها علماء التربية بأنها وسائل التنشئة غير المقصودة أو غير الرسمية، التى تقابل وسائل التنشئة المقصودة أو الرسمية مثل المدرسة والجامعة وأماكن التعليم الأخرى.

ومما لا شك فيه أن هذه الوسائل لها تأثير عميق فى كافة الأفراد المتلقين لها مهما كان نوعهم (رجل أو امرأة) أو مستوى تعليمهم (أمى أو متعلم) أو المرحلة العمرية (طفل أو شاب أو كهل).

ويمكن القول إن هذه الوسائل قد تقوى أو تحصن القيم والمعايير وأنماط السلوك في المجتمع أو تقوم بإفسادها وتشويهها وذلك بإعطاء الانطباع بأن ما تشاهده مثلاً في التليفزيون أو تسمعه في الإذاعة، أو يقرؤه يمثل الانعكاس الحقيقي لكل ما هو موجود في المجتمع. ومن هنا يجب أن نحذر بأن وسائل الإتصال الجماهيري هي مجرد مصدر واحد من المصادر المقبولة عند الفرد والتي تحدد المعايير أو تقدرها[1].

ـ ويجب أن نلاحظ أن مؤسسات التنشئة الاجتماعية تعمل بشكل متصل ومستمر ومتداخل ويكمل بعضها البعض.. من أجل إعداد الفرد خلال مراحل نموه، لكي يمارس حياته الاجتماعية طبقا للمعايير والقيم وأنماط السلوك التي تشتمل عليها ثقافة مجتمعه.

وقد يلجأ الفرد إلى اختيار إحدى هذه المؤسسات كجماعة مرجعية Reference Group تكون له بمثابة النموذج أو المثال في القيم والمعايير وأنماط السلوك التي يرجع إليها عند الحكم على أفعاله وسلوكه وقراراته. فالجماعة المرجعية لها تأثيرات هامة على الاتجاهات التي نختارها أو نتبناها[2].

٦ - أهداف التنشئة الاجتماعية:

يمكن لنا أن نحصر هذه الأهداف فيما يلي:

---

(1) Cohen, Bruce, J., op., cit., P. 49.

(2) Cvetkovich, George, & others, op. Cit., p. 202.

(أ) التنشئة الاجتماعية تهدف إلى تحويل الإنسان من مجرد كائن بيولوجى ضعيف إلى كائن اجتماعى يعيش حياته ضمن الجماعة التى تعلمه وتدربه على تكوين ذاته الاجتماعية التى يكتسبها من خلال تعامله وتفاعله مع ذوات الآخرين، وبذلك يكتسب الإنسان إنسانيته التى تميزه عن الحيوان أو أية كائنات أخرى فى المجتمع.

(ب) وتهدف أيضا إلى تنمية ذات الطفل وتطوير مفهومه عن ذاته كشخص وذلك من خلال سلوك الآخرين واتجاهاتهم نحوه.

(جـ) كما تهدف إلى تعليم الطفل لعب الأدوار الاجتماعية المختلفة خلال مراحل نموه، هذه الأدوار الجديدة التى تتلاءم مع موقفه أو وضعه الجديد الذى يمارسه خلال كل مرحلة من مراحل نموه.

(د) التنشئة الاجتماعية تهيىء الطفل لعملية التكيف الاجتماعى S. Adaptation كما تزوده بالأساليب التى تجعل لديه القدرة على مواجهة التغيرات التى تتطلبها حياته الاجتماعية فى المجتمع.

(هـ) أن عملية تكوين الذات الاجتماعية ونموها وتطويرها خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية وطبقا لثقافة المجتمع وحضارته تؤدى إلى نوع من وحدة الفكر والعقيدة التى تؤدى إلى نوع التماسك الاجتماعى والذى يؤدى بدوره إلى الضبط الاجتماعى.

و) تهدف التنشئة الاجتماعية إلى تحقيق نوع من التوحد أو التكامل بين مصالح الفرد ومصالح الجماعة. ومثل هذا التوحد أو التكامل يؤدى إلى خلق (المواطن الصالح) الذى يراعى القواعد والتقاليد والعادات السائدة فى مجتمعه[1]. فى حين أن عدم وجود التوحد أو التكامل قد يؤدى إلى نوع من التنافر أو التباعد بين أفراد المجتمع وذلك عندما تتضارب مصالح الفرد مع مصالح الجماعة، مما يؤدى إلى إحداث الاختلال disorder فى تماسك المجتمع وبالتالى فساد أو خلل الضبط الاجتماعى.

(ز) أن التنشئة الاجتماعية عملية مستمرة تهدف إلى نقل التراث الاجتماعى للمجتمع عبر الأجيال، بل ونقله داخل المجتمع نفسه من مكان إلى آخر. وقد يبرز هذا الهدف طبيعة العلاقة الوثيقة بين التنشئة الاجتماعية والتنشئة الثقافية كعمليتين متكاملتين ومتتابعتين.

(ح) وأخيرا تهدف التنشئة الاجتماعية إلى إحداث حالة من التوازن أو الاتزان فى شخصية الفرد منذ طفولته وعدم تفكك أو انحلال شخصيته بل والحفاظ عليه فى حالة توازن وانسجام مستمر مما يؤدى إلى الحفاظ على توازن المجتمع واستمرار تماسكه وقوة الضبط الاجتماعى بالتالى. وعندما يحدث أى خلل أو اختلال فى

---

(١) حسن شحاتة سعفان، أسس علم الاجتماع، دار النهضة العربية، ١٩٧٦، ص ٢٦٠.

حالة التوازن أو الاتزان فى شخصية الفرد فى أى مرحلة من مراحل نموه مما قد يؤدى إلى إحداث نفس الاختلال فى تماسك الجماعة أو المجتمع، فإننا قد نكون فى حاجة إلى عملية إعادة للتنشئة الاجتماعية Resocialization حتى نحافظ من جديد على إحداث التوازن أو الاتزان فى شخصية الفرد وبالتالى فى الجماعة أو المجتمع. وهذا ما حدث مثلا للأسرى الأمريكيين الذين عادوا إلى بلادهم بعد الحرب الكورية أو الجنود الذين عادوا إلى بلادهم أيضا بعد حرب الخليج الثانية حيث خضعوا لمجموعة من الفحوص النفسية والاجتماعية لإعادة تنشئتهم اجتماعيا ونفسيا حتى يستردوا توازنهم، وبالتالى لا يؤثرون فى مجتمعهم الذى عادوا إليه بالتفكك أو الاختلال.

- شروط نجاح عملية التنشئة الاجتماعية:

هناك شروط ثلاثة أساسية وضرورية لكى تكون عملية التنشئة الاجتماعية ناجحة[1] وهى:

(أ) الميراث البيولوجى Biological inheritance أو الوراثة:

فالطفل يرث عن والديه بواسطة الكروموسومات والجينات - مجموعة من الاستعدادات والدوافع الفطرية والذكاء، كما يرث ما يسمى بالتكوينات الجسمية والتى تتمثل فى أعضاء جسمه، والجهاز

---

(1) Fredrick Elkin & Gerald Handel, The Child and Society, The process of Socialization, N.Y. Random House, 1972, p. 9.

العصبى والغدد والعضلات الإرادية واللاإرادية. وهذا الميراث البيولوجى له أهمية حيث إنه يحدد إلى حد كبير قدرة الكائن الحى أو الإنسان على التفاعل مع بيئته ومدى هذا التفاعل فى تحقيق انسجام الفرد وتكيفه مع البيئة أو الوسط الاجتماعى المحيط به.

إلا أننا يجب أن نقول إن الميراث البيولوجى هذا، لا يشكل كل عملية التنشئة الاجتماعية، لأن هناك مجموعة أخرى من الحاجات الضرورية واللازمة لبقاء الكائن الحى أو الإنسان على قيد الحياة يشبعها بطرق مختلفة ويستمدها من البيئة. فمثلا.. ذكاء الإنسان ومزاجه، بالرغم من أساسه البيولوجى، إلا أنه لا يتشكل ولا ينمو ويتطور بصفة تامة ونهائية، إلا من خلال البيئة أو المجتمع الذى يعيش فيه الفرد. فالإنسان ابن الوراثة والبيئة معا: ومما يجدر الإشارة إليه أن هناك نظريات جديدة تشير إلى أن ذكاء الطفل لا يأتى أو يرثه من الأب، ولكن يرثه من الأم، بمعنى أن الأبناء الذكور والإناث لا يرثون الصفات بالتساوى من آبائهم. حيث يؤكد العلماء أن جينات الأم هى الغالبة أو الأكثر تأثيرا على الأبناء من الأب، وأن الذكاء موروث بنسبة كبيرة من الأم وليس من الأب. وقد يعنى ذلك أن الطفل بالرغم من أنه يرث الجينات من الأم والأب بشكل متساو، إلا أن ما تحدثه بعض الجينات الوراثية غير متساو. وعلى ذلك يصبح جينات الأم للذكاء هى المؤثر الأساسى فى ذكاء الطفل سواء كان ذكرا أم أنثى.

وبالرغم من مثل هذه النظريات الجديدة، فإن الطفل يرث من الأب والأم معا كل الصفات أو الخصائص البيولوجية والعصبية والنفسية والعقلية ومن بينها الذكاء ثم تأتى البيئة وتعمل على تنمية كل هذه الصفات أو الخصائص ومن بينها أيضا الذكاء، وقد تعمل أيضا على الحد أو التقليل من تأثير هذه الصفات أو الخصائص ومن بينها أيضا الذكاء.

وعلى ذلك نقول دائما إن التأثيرات الاجتماعية والنفسية والثقافية المحيطة بالطفل لها أثر كبير ومباشر فى تحديد نسبة الذكاء عند الطفل وهذا ما يمثله الثقافة أو الميراث الاجتماعى.

(ب) الميراث الاجتماعى Social inheritance

الميراث الاجتماعى: ويتمثل ذلك الميراث فى مجموعات القيم والعادات والمعايير وأنماط السلوك والدين والقوانين والقواعد الأخلاقية. والطفل عندما يولد لا يكون على علم بكل هذه الأمور، وإنما هو يتعلمها ويتشربها من المجتمع عن طريق الأسرة أولا ثم بعد ذلك من مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى. وعلى ذلك فالمجتمع هو الذى يحدد للفرد مجموعة الوسائل والطرق التى يسلكها طوال حياته من خلال تراثه الاجتماعى والتى تعمل على تنشئته اجتماعيا. وهنا يبرز هذا الشرط مدى العلاقة الوثيقة وقيمة التفاعل بين الوراثة والبيئة فى تنشئة الفرد تنشئة اجتماعية.

(جـ) الطبيعة الإنسانية Human nature

من المعروف أن الإنسان يختلف عن الحيوان. فالإنسان له قدرات ثلاث يتميز بها عن الحيوان هى اللغة والعقل والقدرة على استعمال الأدوات والآلات[1]. فعن طريق اللغة يكون الإنسان لنفسه مجموعة من الرموز تمكنه من التعامل والتفاعل مع الآخرين فى مجتمعه. كما أن الإنسان لديه القدرة على أن يفكر ويتعقل الأشياء. كذلك لديه القدرة والاستعداد لاستخدام الآلات والأدوات التى مكنته من الاختراع والابتكار الذى أدى فى النهاية إلى تكوين حضارته المادية والمتمثلة فى المبانى والمصانع والملابس وغير ذلك من المظاهر المادية للحضارة التى استطاع الإنسان بواسطتها أن يخضع البيئة الطبيعية لقدرته ومشيئته بما فيها الحيوان ذاته. وهكذا يختلف الإنسان عن الحيوان فى طبيعته.. تلك الطبيعة الإنسانية التى مكنت الإنسان من صنع الثقافة والحضارة.

من كل ما تقدم يمكن لنا أن نستخلص نتيجة هامة وهى أن عملية التنشئة الاجتماعية تبدو أهميتها فى أنها تضفى على الفرد طابعه الإنسانى الاجتماعى طبقا لثقافة مجتمعه وحضارته، بما يساعد على تشكيل ملامح أو سمات شخصيته التى تنعكس على

---

(١) محمد عاطف غيث، مقدمة فى علم الاجتماع. دار المعارف بمصر. ١٩٦٢، ص ٩٦ – ٩٨.

سلوكه وقدراته إزاء مواقف الحياة الاجتماعية المتعددة التى يمر بها.

٨- عملية إعادة التنشئة الاجتماعية: Resocialization

إن عملية التنشئة الاجتماعية ليست قاصرة على مرحلة الطفولة وإنما هى عملية مستمرة طوال حياة الفرد من المهد إلى اللحد. فالإنسان من خلال مراحل حياته يكون عرضة لمواقف جديدة تتطلب منه قدرة على مواجهة هذه المواقف والتكيف معها. «فالمشاركة المستمرة فى مواقف جديدة تتطلب إعادة تنشئة مستمرة يقوم بها الفرد بنفسه ولنفسه حتى يتمكن من مقابلة المتطلبات الجديدة للتفاعل»[1]. ولذلك يتحدث علماء الاجتماع عما يسمى عملية «إعادة التنشئة الاجتماعية» وإذا كانت التنشئة الاجتماعية يقوم بها الكبار للأطفال الصغار حتى يكتمل نضجهم ووعيهم بما يدور حولهم فى المجتمع، فإن عملية إعادة التنشئة الاجتماعية يقوم بها الكبار الراشدون بأنفسهم ولأنفسهم خلال تغير وظائفهم أو وضعهم الاجتماعى كزوج أو أب أو جد، أو كرئيس فى العمل أو مرءوس، أو كمطلق أو أرمل، أو موظف بالمعاش.

وعلى ذلك.. فالإنسان يحتاج طوال حياته إلى عمليات تنشئة اجتماعية مستمرة طبقا للمواقف أو الأوضاع الجديدة التى يتعرض لها طوال حياته. وهذا ما يجعله دائما يقوم بأدوار جديدة خلال

الحياة طبقا للمواقف أو الوضع الجديد. ومعنى ذلك أن عمليات التفاعل مع الحياة الاجتماعية والأفراد الآخرين لا تتوقف أبدا، وإنما تستمر حتى يتوقف الإنسان نفسه عن الحياة.

وهنا لابد أن نشير إلى نقطة ذات أهمية وهى أن عملية التنشئة الاجتماعية تختلف إلى حد ما عن عملية التربية والتعليم Education.. حيث إن الأخيرة قد تتوقف بانتهاء الإنسان من تعليمه بالمدارس والجامعات وخروجه إلى الحياة للعمل وتكوين أسرة. فى حين أن التنشئة الاجتماعية قد تستمر مع الإنسان بعد ذلك فيما أسميناه.. إعادة التنشئة الاجتماعية والتى تتوقف بالوفاة.

ونود أن نشير هنا إلى عملية هامة جدا ولها علاقة بعملية إعادة التنشئة الاجتماعية وهى عملية (غسيل المخ Brain washing) والتى تجرى على الأسرى أثناء الحروب.. وكذلك على بعض المساجين أو الإرهابيين أو المعتقلين السياسيين خلال احتجازهم فى السجون.

وفى هذا الصدد أشار كل من: وليام لامبرت William Lambert، ووالاس لامبرت Wallace Lambert فى كتابهما: علم النفس الاجتماعى[(١)] إن الشيوعيين الصينيين قاموا بعملية غسيل مخ لنزع الطابع الاجتماعى عن الأسرى الأمريكيين خلال الحرب الكورية

---

(١) وليم و. لامبرت ووالاس لامبرت، علم النفس الاجتماعى، ترجمة د.سلوى الملا، دار الشروق، ١٩٨٩، ص ٣٠.

(فـى خمسـينات القـرن العشـرين) وذلـك لمحـو آثـار تنشـئتهم الاجتماعية. وقد ظهر ذلك عندما قام عالم النفس الأمريكى إدجـار شاين Edgar Schein بإجراء مقابلة مع العديد من هؤلاء الأسرى عقب إطلاق سراحهم وذكر فـى تقريره أن الصينيين لم يكتفوا بمحاولة محو آثار التنشئة للجنود الأمريكيين، بل حاولوا أيضا أن يعيدوا تشكيلهم اجتماعيا.. أى يجعلوا الأمريكيين يؤمنون بالمعتقدات والقيم السياسية للشيوعية الصينية.

وعلى الرغم من أن الصينيين قد نجحوا فى نواح هامشية، إلا أنهم فشلوا فى هدفهم الرئيسى. ومع ذلك فإن نجاحهم الهش يعطينا فكرة فى تلك القوة الهائلة لعملية التنشئة الاجتماعية التى يمر بها كل البشر باستمرار[1].

ب وأخيرا.. ولكى تكون عملية إعادة التنشئة الاجتماعية عملية ناجحة وتحقق الهدف منها.. لابد من توافر مجموعة من الشروط أو الاعتبارات الهامة نلخصها فيما يلى:

١ – مشاركة تطوعية من كل المستهدفين أو القائمين على عملية إعادة التنشئة الاجتماعية.

٢ – انتقال كامل أو جزئى من العلاقات الاجتماعية السابقة إلى علاقات جديدة ذات فائدة للمشاركين فى عملية إعادة التنشئة الاجتماعية.

٣ – الانتقال إلى جماعة مرجعية جديدة تتوافق مع الأهداف الجديدة لعملية إعادة التنشئة الاجتماعية.

٤ – استخدام بعض الجزاءات من طرف الجماعة القوية على المستهدفين من عملية إعادة التنشئة الاجتماعية وذلك لتأكيد الانتقال إلى معايير جديدة تتفق مع الأوضاع أو المواقف الجديدة.

٥ – استمرار تعزيز وتقوية المعايير الجديدة حتى تحقق أهدافها من عملية إعادة التنشئة الاجتماعية[١].

كلمة أخيرة فى هذا الفصل:

إن التنشئة الاجتماعية عملية تختلف باختلاف المجتمعات، ويرجع ذلك إلى اختلاف الثقافة أو الحضارة أو التراث الاجتماعى لكل مجتمع، بل أكثر من ذلك يمكن القول إن التنشئة الاجتماعية تختلف فى المجتمع الواحد من مكان إلى آخر، ومن زمان إلى زمان، بل ومن جماعة اجتماعية إلى أخرى. وعلى ذلك فهى عملية مستمرة طوال الحياة، طالما وجد الإنسان، ووجد المجتمع. وإذا حدث أى خلل أو اختلال فى عملية التنشئة الاجتماعية لأى سبب من الأسباب، وفى أى مرحلة من مراحل نمو الإنسان، فإن عملية إعادة التنشئة الاجتماعية تبدو ضرورية لإعادة التوازن والتوافق إلى المجتمع حتى يسود التماسك والضبط الاجتماعى إلى الجماعة، بل وإلى المجتمع كله.

---

(1) Yorburg. Betty, op, cit p.106

الفصل الثانى

التنشئة الثقافية

١ - تمهيد.

٢ - تعريف الثقافة.

٣ - الثقافة والحضارة والتراث.

٤ - التفسير السوسيولوجى للتنشئة الثقافية.

٥ - التنشئة الثقافية.

٦ - طبيعة عملية التنشئة الثقافية.

٧ - مؤسسات التنشئة الثقافية.

٨ - أهداف التنشئة الثقافية.

التنشئة الثقافية
Culturization

١ - تمهيد:

لكى نفهم عملية التنشئة الثقافية لابد لنا من التعرض لموضوع الثقافة، ذلك لأن الثقافة هى جوهر أو لب Core عملية التنشئة الثقافية، لأن الإنسان لا تنمو شخصيته ولا تتكامل إلا بتنشئته على ثقافة مجتمعة ولا يصبح متحضرا إلا بتعلمه لعناصر ثقافة مجتمعه الذى يعيش فيه.

وإذا كانت التنشئة الاجتماعية تعمل على تكوين الذات الاجتماعية للفرد أى تكوين شخصيته اجتماعيا، فإن الثقافة تجعل منه إنسانا متحضرا قادرا على مواجهة الحياة والتفاعل مع متطلباتها والتكيف مع كل ما يحيط به فى بيئته. وعلى ذلك يمكن القول إن التنشئة الاجتماعية والتنشئة الثقافية جناحان لشىء واحد، أو وجهان لعملة واحدة هى.. الإنسان.. بهما يصبح الإنسان اجتماعيا ومتحضرا.

وفى البداية، نود أن نشير إلى أننا لن نتعرض لموضوع الثقافة بشىء من الإسهاب - لأن ذلك ليس هو موضوعنا هنا - وإنما سوف نعرض له بالقدر الذى يفيد فى توضيح موضوع عملية التنشئة الثقافية.

ولقد أصبح دراسة أو فهم الثقافة أو العوامل الثقافية وتأثيرها سواء فى الشخصية أم الجماعة أم البناء الاجتماعى للمجتمع أم النظم الاجتماعية أم العمليات الاجتماعية، أمرا له أهمية كبيرة، ذلك أنه لا يمكن كشف الحقائق الاجتماعية أو فهم المواقف الاجتماعية وعملية التفاعل الاجتماعى دون أن نتعرض لفكرة الثقافة.

٢ - تعريف الثقافة : Culture

يرى بعض العلماء والمفكرين أن مصطلح الثقافة Culture «يرجع إلى الكلمة الألمانية Kultur»[١]. وقد قدم كثير من الباحثين والعلماء مجموعة من التعريفات سوف نعرض لبعض منها.. فمثلا «كروبير Kroeber» و «كلاكهون Kluckhon» قدما صيغة تأليفية تشتمل على معظم العناصر التى حظيت بموافقة علماء الاجتماع فى الوقت الحاضر «فالثقافة تتألف من أنماط مستترة أو ظاهرة للسلوك المكتسب والمنقول، عن طريق الرموز، فضلا عن الإنجازات المتميزة للجماعات الإنسانية، ويتضمن ذلك الأشياء المصنوعة. ويتكون جوهر الثقافة من أفكار تقليدية، وكافة القيم المتصلة بها. أما الأنساق الثقافية فتعتبر نتاج السلوك من ناحية، وتمثل الشروط الضرورية له من ناحية أخرى[٢]. أما «كلينبرج Klinberg» فقد

(1) Joseph Sumpf et Michel Hugues, Dictionnaire de Sociologie, librairie Larousse, Paris, 1973. P. 74.

(٢) د. محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع. مرجع سابق، ص ١١٠.

ذهب إلى القول بأن «الثقافة هى ذلك الكل المتعلق بأسلوب الحياة كما تحدده البيئة الاجتماعية»[1]. أما التعريفات ذات الطابع النفسى فإنها تميل إلى إبراز جوانب معينة من التكيف والتعلم والعادات وتنظر إلى الثقافة أساسا باعتبارها مجموعة أساليب فنية تحقق إشباع الحاجات، وحل المشكلات، والتكيف مع البيئة وفى ذلك يقول «فورد C. S. Forde»: «إن الثقافة تتكون من الأساليب التقليدية لحل المشكلات.. وهى تمثل مجموعة من الاستجابات المقبولة، التى حققت نجاحا، وهى تعبر باختصار عن الحلول المألوفة والمتعلمة لهذه المشكلات»[2].

ولن ننساق أكثر من ذلك وراء العلماء فى تعريفاتهم للثقافة، وسوف نكتفى الآن بعرض التعريف الذى يكاد يتفق عليه ويفضله معظم علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا وهو التعريف الذى ذكره «إدوارد تايلور Edward Tylor» فى كتابه بعنوان: الثقافة البدائية Primitive Culture حيث يعرفها بأنها «ذلك الكل المعقد الذى يحتوى على المعارف والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات، وكل ما يكتسبه الإنسان كعضو فى المجتمع»[3]. وعلى ذلك فالنماذج المعيشية التى يسير عليها المجتمع وطرق التفكير والمعتقدات والقوانين

---

(١) نفس المرجع السابق، ص ص ١١٠ – ١١١.

(٢) نفس المرجع السابق، ص ١١١.

(3) Joseph Sumpf et Michel Hugues, op. Cit., P. 75.

والعادات والتقاليد والفنون واللغة وأنماط السلوك، كل ذلك يكون فى النهاية ثقافة المجتمع.

ومن الجدير بالقول أن الإنسان دون سائر الكائنات الأخرى هو الكائن الوحيد المزود بالذكاء والعقل الذى مكنه من اختراع اللغة التى هى عبارة عن نسق من الرموز ذات المعانى والتى عن طريقها ابتدع الإنسان لنفسه الثقافة والحضارة واستطاع أن يحافظ عليها ويعمل على تنميتها وينقلها من مجتمعه إلى مجتمعات أخرى، بل وفى نفس المجتمع من مكان لآخر. ومن زمن لآخر طبقا للحياة الاجتماعية السائدة فى المجتمع وما يحيط بهذا المجتمع من ظروف متعددة اجتماعية واقتصادية وطبيعية وسياسية. ونتيجة لذلك كانت الثقافة ظاهرة إنسانية يتفرد بها الإنسان وحده دون الكائنات الأخرى، وهى تتأثر بالبيئة التى توجد فيها.

كما أن الثقافة بالتالى تؤثر فى البيئة. أما كيف تؤثر البيئة فى الثقافة فيمكن إجمال ذلك فيما يلى[1] :

١ – تقدم البيئة إمكانيات متعددة لنمو الثقافة.

٢ – تفرض البيئة قيودا متعددة فى نفس الوقت على النمو الثقافى.

---

(١) د / محمد عاطف غيث، مقدمة فى علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ١٦٩.

٣ – تأثير البيئة يتوقف نوعا ما على حالة الثقافة، والتى تتوقف بدورها وإلى حد كبير على عوامل أخرى مثل الانتشار Diffusion وهو استعارة ثقافة أو عنصر منها من جماعة أخرى.

٤ – لا نستطيع فى الوقت الحاضر خاصة، أن نقدر الدور النهائى للإمكانيات التى تقدمها البيئة، لأن العلم والتكنولوجيا يتحسنان طول الوقت.

٥ – تقدم الثقافة المستمر يحرر الإنسان من القيود التى تترتب على أى مكان معين، وفى نفس الوقت تجعله يعتمد أكثر على الظروف الثقافية والبيئية.

٦ – وبينما يتحرر الإنسان – من ناحية – من التأثيرات المباشرة والمقيدة للبيئة، فإن تقدم الثقافة يربطه بالبيئة بطرق متعددة عن طريق كشف مزيد من نواحيها وتعريفه أكثر وأكثر بإمكانياتها.

كان ذلك تأثير البيئة على الثقافة، أما عن تأثير الثقافة على البيئة والمجتمع والفرد فسوف نعرض له عندما نتكلم عن عملية التنشئة الثقافية.

٣ – الثقافة والحضارة والتراث:

لقد وقع جدل كبير واختلاف كبير بين علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا حول هذه المفاهيم أو المصطلحات Concepts فالبعض منهم يفرق بين الثقافة والحضارة، والبعض الآخر لا يفرق

بينهما ويجعلهما لفظين مترادفين وفريق ثالث يرى أن الثقافة والحضارة وجهان لعملة واحدة هى التراث.

فمنذ القرن الثامن عشر، نجد العلماء الألمان يفرقون بين كلمتى حضارة وثقافة والتى أطلقوا عليها اصطلاح Kultur – وهى التى اشتقت منها بعد ذلك كلمة Culture – وذلك «تحت تأثير الحركة الرومانسية، ثم تحت تأثير حركة التنوير»[1]. فالرومانسية ترى أن الثقافة تمثل مظاهر الحياة الروحية والمعتقدات وكل ما هو غير مادى، لأنهم كانوا يكرهون المادة والحياة المادية، ويفضلون عليها كل ما هو روحى ومعنوى مثل العواطف والقيم الأخلاقية. أما حركة التنوير فتقدس العقل وترى أنه مصدر الاكتشافات والاختراعات وما نتج عنها من مظاهر مادية مثل المبانى وطرق المواصلات وما إلى ذلك وقد أطلق أصحاب حركة التنوير على كل هذه المظاهر المادية لفظ الحضارة Civilization.

وطبقا لهذه التفرقة، فإن الثقافة تعبر عن روح الأمة ونفسيتها وطابعها القومى العام، وهى التى تفرق أو تميز بين شعب وآخر. أما الحضارة فهى شائعة فى كل الشعوب، ولا تظهر فيها روح الشعب. ولذلك تنتقل المظاهر الحضارية من شعب إلى آخر بطريقة أسهل وأسرع من انتقال المظاهر الثقافية.

---

(١) د. حسن شحاتة سعفان، علم الإنسان مرجع سابق، ص ١١١.

أما علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا الإنجليز والأمريكان فلا يفرقون بين الثقافة والحضارة ويرون أنهما شيء واحد. وكذلك علماء الاجتماع الفرنسيون حيث يرون أيضا أن كلمتى حضارة وثقافة تطلق على معنى واحد، إذ تشملان كل مظاهر الحياة الاجتماعية. وهذا ما ذهب إليه كل من «دوركيم» و «مارسيل موسى» فى تعريفهما للحضارة[1].

وهناك فريق ثالث من العلماء يرى أن الثقافة والحضارة وجهان لعملة واحدة هى: التراث الاجتماعى Social Heritage.. فالثقافة تشمل الجانب المعنوى وتتمثل فى اللغة والعادات والتقاليد والعرف والقيم والدين والقانون. أما الحضارة فتشمل الجانب المادى وهو كل ما صنعه الإنسان مثل الأدوات والآلات والمبانى والملابس ووسائل النقل والمواصلات ووسائل الاتصال الإعلامى. وعلى ذلك نجد من يتكلم عما يسمى بالثقافة المادية والثقافة اللامادية. فالثقافة تتضمن أو تشير إلى المعنى الرمزى للشىء، أما الحضارة فتتضمن أو تشير إلى الشىء ذاته.

ومما تجدر الإشارة إليه أن التغير الثقافى فى المجتمع الواحد لا يحدث بنسبة واحدة فى كل نواحى الحياة الاجتماعية، ولكنه يحدث بنسب متفاوتة بين الثقافة والحضارة. ولذلك نرى دائما أن

---

(١) د. حسن شحاتة سعفان، علم الإنسان مرجع سابق، ص ١١٢ – ١١٣.

المظاهر الحضارية تحدث بشكل أسرع من المظاهر الثقافية، وينتج عن ذلك ظاهرة اجتماعية أطلق عليها عالم الاجتماع «أوجبرن Ogburn» مصطلح «التخلف الثقافي Cultural Lag» الذى يحدث أيضا بسبب تضارب أو صراع بين الاتجاهات القديمة والاتجاهات الجديدة فى المجتمع[1].

٤ - التفسير السوسيولوجى للتنشئة الثقافية:

مما لا شك فيه - انطلاقا من عملية التفاعل الاجتماعى - هناك علاقة واضحة وتأثير متبادل بين محاور ثلاثة تفسر لنا عملية التنشئة الثقافية تفسيرا سوسيولوجيا وتعطى لها الخلفية أو الأبعاد الاجتماعية.

إن عملية التفاعل والتكيف بين الثقافة والفرد والمجتمع تؤدى بنا إلى التوقف عند نظرية كل من «تارد Trade ودوركيم Durkheim» حيث يرى «تارد» أن الفرد أسبق فى الوجود من المجتمع، وأنه يولد ولديه مجموعة من القدرات والاستعدادات الفطرية الوراثية التى تعمل على تكوين شخصيته واستعداده للنمو طوال حياته. ومن تجمع الأفراد يتكون المجتمع الذى هو عبارة عن مجموعة من الذرات هى الأفراد. فالفرد عند «تارد» هو نواة أو أصل الظواهر الاجتماعية وهو أيضا المحرك لها. وسلوك الجماعة أو

---

(1) Cohen, Bruce, J., Introduction to Sociology, op. Cit., 27.

المجتمع ما هو إلا مجموعة من سلوك الأفراد. ويرفض «تارد» فكرة العقل الجمعى والسلوك الجمعى التى قال بها «دوركيم».

أما «دوركيم» فيرى - عكس تارد - أن المجتمع أسبق فى الوجود من الفرد. وأن الفرد لا يستطيع الحياة إلا فى جماعة أو مجتمع، ومن مجموع الأفراد يتكون العقل الجمعى Collective Mind الذى يربط بين الأجيال، كما أنه نتاج للقيم والمشاعر المشتركة.

وقد استخدم «دوركيم» هذا المصطلح للدلالة على الثقافة[1]. فالفرد يكتسب من الأسرة وبصفة خاصة من الأم الأنماط الثقافية مثل اللغة التى عن طريقها يتعلم العادات والتقاليد والعرف والتفكير والمشاعر والدين والقيم الأخلاقية، ثم ينتقل إلى المدرسة لكى يستكمل تشربه وتعلمه لثقافة المجتمع وحضارته.

وعلى ذلك نرى أن شخصية الفرد تتشكل بتأثير المجتمع الذى يعيش فيه، وفى نفس الوقت، فإن المجتمع لا يمكن تصوره بدون الأفراد.

وهناك شبه إجماع بين علماء الاجتماع على أن المجتمع عبارة عن العلاقات الاجتماعية فى زمن معين لجماعة من الناس، وأن الثقافة هى ما تتمخض عنه هذه العلاقات من آثار مادية تبقى على مر الزمان، أو تتعدل أو تختفى. وتبدو أهمية هذه الثقافة فى الحياة الاجتماعية إذا عرفنا أن الثقافة نفسها لا تنمو إلا من خلال

---

(١) د. محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٦٩.

العلاقات التى يكونها بنو الإنسان بعضهم مع بعض. وهذه العلاقات فى حد ذاتها تفترض ضرورة وجود مجتمع. ذلك أن الأفراد لا يمكنهم القيام بوظائفهم كجماعة أو مجتمع إذا لم يكن لهم ثقافة وحضارة. فالثقافة تحدد لكل فرد فى المجتمع دوره ومكانته فى المجتمع واستجابات الأفراد الآخرين لهذا الدور وتلك المكانة، فى نفس الوقت الذى يستجيب هو أيضا لأدوار ومكانات الأفراد الآخرين.

إن المجتمع يستطيع أن يعيش لأن الطبيعة زودت الإنسان بالمعدات العقلية التى يستطيع بها أن يصنع الثقافة وأن ينقلها أيضا إلى الأجيال المتعاقبة. كما أن الثقافة بدورها تخلق المجتمعات.. أى إن المجتمعات تعتمد فى نموها وفى حياتها على الثقافات[1].

مما تقدم يمكن لنا أن نفهم أن التفسير الاجتماعى لعملية التنشئة الثقافية يتضح ويتبلور من خلال التفاعل والعلاقات المتبادلة بين الفرد والمجتمع والثقافة. وهذه العناصر أو المفردات الثلاثة تعمل وتؤدى دورها من خلال نسيج متشابك مع بعضها البعض. ولذلك لا نستطيع أن نفسر سلوك الإنسان أو الفرد بمعزل عن المجتمع والثقافة، وكذلك لا نستطيع فهم المجتمع بمعزل عن أفراده، كما لا نستطيع تصور وجود ثقافة أو حضارة بدون الفرد والمجتمع.

---

(١) المرجع السابق، ص ٩٩.

وخلاصة ذلك. أنه يمكن لنا أن ننظر إلى الفرد أو الشخصية على أنها سبب ونتيجة للمجتمع والثقافة[1]. وأن المجتمع والثقافة يصبغان الفرد أو الشخصية بالطابع العام لثقافة المجتمع.

٥ - التنشئة الثقافية:

يولد الإنسان وهو مجرد مخلوق أو كائن بيولوجي. والتنشئة الاجتماعية هي العملية التي تحوله إلى مخلوق أو كائن اجتماعي. ثم تأتي التنشئة الثقافية فتحوله إلى كائن اجتماعي ثقافي، حيث تغرس فيه وتعلمه ثقافة مجتمعه. فالتنشئة الاجتماعية تسبق أو تمهد للتنشئة الثقافية. فالطفل يولد وينشأ في وسط اجتماعي، ثم يكبر وينمو في وسط ثقافي، والثقافة هي التي تحدد للأسرة الأساليب والطرق التي تتبعها في تنشئة الطفل. فمثلا الجوع والعطش والملبس حاجات ضرورية للطفل، ولكن الثقافة هي التي تحدد له أسلوب أو طريقة تناول الطعام والشراب ونوع الملبس وشكله. وكذلك يولد الطفل ولديه عقل يفكر به، والثقافة هي التي تحدد له طريقة التفكير ونوعه، وأسلوب التعبير عن الانفعالات والمشاعر وما يتعلمه من قيم ومعايير وعواطف، وبطريقة لا تخالف النظام الثقافي السائد والمقبول في المجتمع. فالثقافة هي جوهر أو

---

(١) وليم و. لامبرت ووالاس إ. لامبرت، علم النفس الاجتماعي مرجع سابق، ص٢٣٨.

لب عملية التنشئة الثقافية، وبذلك تكون «الثقافة ذات تأثير كبير على تشكيل الفرد.. ولا يمكن أن تجد إنسانا متمدينا إلا ويكون قد تعلم الأنماط الثقافية فى مجتمعه»[1].

وهكذا، يمكننا أن نعرف التنشئة الثقافية بأنها العملية التى يتم بها تشكيل الفرد طبقا لثقافة المجتمع وما تتضمنه من قيم ومعايير وعادات وتقاليد وقانون ودين وأنماط سلوك. وبتعبير آخر التنشئة الثقافية هى أسلوب الحياة الذى تفرضه ثقافة المجتمع على الأفراد. وتجعلهم يتصرفون طبقا للأنماط الثقافية التى يتضمنها النظام الثقافى للمجتمع.

وعلى ذلك تصبح التنشئة الثقافية هى العملية التى تصبغ الإنسان بصبغة التحضر أو التمدين. أو هى العملية التى تجعل الإنسان شخصا أو فردا متحضرا.

٦ - طبيعة عملية التنشئة الثقافية:

إن الثقافة عملية حيوية تعتمل فى الكيان الداخلى للأفراد أو للشعوب. فالثقافة لا تختلف عن تلك العمليات الهضمية فى القطاع البيولوجى من الشخصية. فكما أننا نشير إلى داخل الإنسان لنحدد ميدان التمثيل الغذائى، فكذلك نشير إلى القوام الداخلى للشخصية

---

(١) على محمد شلتوت، علم الاجتماع التربوى، مطبعة الشاعر، ١٩٦٩، ص٢٥٤.

لكى نحدد الميدان الذى تتم بـه عمليات التمثيل الثقافى[1]. ومعنـى ذلك أن الإنسان لا يقبل الثقافة على علاتها فى كـل الأحـوال، وإنمـا يقوم بعملية انتقـاء أو اختيـار للأنمـاط الثقافيـة التـى تناسبه، وهـو يهضمها أو يتمثلها كما يتمثل الغذاء الذى يختاره ويتناوله.

فـالفرد يتعلـم أنمـاط الثقافـة أثنـاء نموه الاجتمـاعى مـن خـلال تفاعله مع الأفراد الآخرين فى المواقف الاجتماعية المختلفـة، وبذلـك تؤثر الثقافة فى تنشئة الفرد وتشكيل شخصيته مـن خـلال المواقـف الثقافية المتعددة، ومن خلال التفاعل الاجتماعى المستمر.

ويجدر بنا أن نشير إلى أن كل ثقافة لها طابع خاص يميزها عـن غيرها من الثقافات الأخرى. ولذلك تختلف عملية التنشئة الثقافيـة باختلاف الثقافـات. فالتنشئة الثقافيـة للفـرد فـى المجتمـع البدائـى، تختلف عنـها فـى المجتمـع الصنـاعى المتقـدم. كمـا أنـها تختلـف فـى المجتمع الأوروبى، الذى يغلب عليـه الطـابع المادى، عنـها فـى المجتمـع الشـرقى، الـذى يغلـب عليـه الطـابع الروحـانى. كمـا أن التنشـئة الثقافيـة للفـرد فـى المجتمعـات الإسلامية تختلف عـن مثيلتـها فـى المجتمعات المسيحية أو اليهودية أو التى لا ديـن لهـا. وفـى هـذا الصـدد نذكر قول الرسول محمد عليه الصلاة والسلام «كـل مولـود يولـد على الفطرة، وإنما أبواه يمجسانه أو يهودانه أو ينصرانه».

---

(١) يوسف ميخائيل سعد، قوة الإرادة، مكتبة غريب، ١٩٧٥، ص ٨٣.

وكما أن التنشئة الثقافية تختلف من ثقافة إلى أخرى، فهى أيضا تختلف فى المجتمع الواحد من مكان إلى مكان، ومن زمان إلى زمان. فهى فى المناطق الساحلية تختلف عنها فى السهول أو الجبال أو الصحارى. وهى أيضا تختلف فى عصر الإقطاع عنها فى عصر الثورة الصناعية. وفى مصر مثلا.. اختلفت التنشئة الثقافية للفرد فى العصر الفرعونى عنها فى العصر المملوكى.. عنها فى العصر الحاضر. ويرجع ذلك كله إلى اختلاف العناصر أو الأنماط الثقافية والحضارية التى هى جوهر عملية التنشئة الثقافية. أو بتعبير آخر، يرجع ذلك كله إلى اختلاف الطابع القومى للثقافة فى كل مجتمع عن المجتمع الآخر.

ومن الجدير بالملاحظة هنا أن عملية التنشئة الثقافية هى امتداد طبيعى لعملية التنشئة الاجتماعية.. فالطفل يولد فى وسط اجتماعى، ثم يكبر وينمو فى وسط ثقافى، ذلك أن الثقافة هى التى تحدد للأسرة الأساليب والطرق التى تتبعها فى تنشئة الطفل. فالعمليتان متداخلتان ومتفاعلتان وتكمل إحداهما الأخرى، ويهدفان إلى هدف واحد هو تنشئة شخصية الإنسان التى تعبر عن ذات الفرد وعن الثقافة أو الحضارة التى ينتمى إليها ويحمل طابعها القومى العام.

٧ - مؤسسات التنشئة الثقافية:

قد لا تختلف هذه المؤسسات عن مؤسسات التنشئة الاجتماعية، ولكننا قد نضيف بعض مؤسسات التنشئة الثقافية إلى ما ذكرناه

عن مؤسسات التنشئة الاجتماعية. ويجب أن نشير إلى أن الاختلاف- إن وجد - هو اختلاف فى الدور أو الوظيفة وحجم هذا الدور أو تلك الوظيفة ونوعها. كما أن هذه المؤسسات تقوم بدور تكاملى ووظيفة إحداها تكمل الأخرى. فإلى جانب الأسرة والمدرسة والجماعات الفرعية ووسائل الاتصال الجماهيرى، يمكن أن نضيف النوادى والجماعات الثقافية وكذلك قادة وزعماء الفكر والثقافة والسياسة ويضيف «كوهين» إلى المؤسسات السابقة: المنظمة العسكرية أو الجيش.. حيث يرى أنه يلقن أفراده نوعا جديدا من الفكر والثقافة التى يمكن تسميتها بالثقافة العسكرية، كما يدربه عمليا على استخدام تطبيقات العلم أو التكنولوجيا فى صورة الأسلحة والمعدات الحربية التى يستخدمها طوال مدة بقائه فى صفوف الجيش. بذلك تخلق منه إنسانا متفردا أو متميزا بصفات أو خصائص ما يسمى بالرجل العسكرى[1].

أما النوادى والجمعيات الثقافية، فإن الفرد من خلال انتمائه إليها يعبر عن مقدار ما حصله من فكر وثقافة متخصصة من خلال ندواتها ومؤتمراتها واجتماعاتها. وهى فى نفس الوقت تعلمه وتغرس فيه قيم ومعايير وأنماط نوع الثقافة التى تمثلها، كذلك فهى تعلمه أدب الحوار والمناقشة والتعبير عن حرية الرأى واحترام الرأى العام الآخر بطريقة تجعل منه إنسانا متحضرا.

---

(1) Cohen, Bruce, J., op. Cit. P. 25

أما قادة الفكر والثقافة، والزعماء السياسيون فيمكن اعتبارهم ظواهر اجتماعية أو نماذج تعبر عن روح المجتمع أو الطابع القومى للمجتمع، ذلك لأنهم بمثابة مرآة عاكسة لثقافة وحضارة مجتمعهم، وهم فى نفس الوقت مبتكرون لأنماط وسمات ثقافية جديدة أو أفكار سياسية أو أيدلوجيات جديدة ومنظمات حزبية جديدة. إنهم نموذج يحتذى ويقتدى بهم الآخرون ويصبح تلاميذهم يسيرون على دربهم ويواصلون رسالاتهم من بعدهم عبر الأجيال التالية. ولهذا تظل ذكراهم فى عقول الناس وأفئدتهم حية لا تنسى. وهكذا يبقى أثر هؤلاء القادة والزعماء فى التنشئة الثقافية للأفراد بل وللمجتمع كله.

٨ - أهداف التنشئة الثقافية:

يمكن لنا أن نوجز هذه الأهداف فيما يلى:

(أ) تهدف التنشئة الثقافية ليس فقط إلى إشباع الحاجات البيولوجية أو الغريزية للفرد كالعطش والجوع والجنس، وإنما تعلمه وتدربه على طريقة أو أسلوب ممارستها أو إشباعها، بل تعلمه أيضا أين ومتى وكيف يمارسها أو يشبعها. فعلى سبيل المثال دافع الجوع.. نجد أن التنشئة الثقافية تعلم الفرد طريقة أو أسلوب تناول الطعام طبقا للنمط الثقافى السائد فى المجتمع.. هل باليد أو بالشوكة والسكين والملعقة؟ كما تعلمه مكان تناول الطعام وأوقات الوجبات.

(ب) تهدف التنشئة الثقافية إلى خلق حاجات جديدة لدى الفرد، ليست بيولوجية أو فطرية.. وإنما يكتسبها من البيئة الاجتماعية أو المجتمع وذلك مثل حاجته إلى النجاح أو تحقيق مركز مرموق فى العمل أو فى الطبقة الاجتماعية التى ينتمى إليها، أو الجمعية الثقافية أو الحزب السياسى الذى ينتمى إليه، أو تحقيق الثروة أو السلطة أو الزعامة فى الجماعة أو فى المجتمع.

(جـ) تمكن الفرد من مواجهة المواقف المختلفة التى تصادفه فى الحياة الاجتماعية، وتزوده بالقدرة على التصرف إزاء المواقف وإيجاد الحلول الملائمة لكل موقف وطبقا لقدراته العقلية أو ذكائه.. وذلك كله داخل إطار المعايير والنماذج الثقافية السائدة والتى تعلمها وتشربها.

(د) كما تزود الفرد بمجموعة من القيم والمعايير والأنماط السلوكية التى تفسر له معنى الحياة والهدف من الوجود.. وذلك كله فى حدود الدين وداخل الإطار أو النظام الثقافى الذى يسود المجتمع.

(هـ) تعمل التنشئة الثقافية على قدرة الفرد على التكيف مع مكانته فى المجتمع.. ذلك لأن كل ثقافة تشتمل على وسائل أو أساليب لتدريب الأفراد على القيام بأدوارهم وقبول أوضاعهم فى الجماعة. لذلك كانت الثقافة والتنشئة الثقافية تربة خصبة للشخصية.

(و) تساعد التنشئة الثقافية على تكوين «الضمير» عند الإنسان. ولهذا كان الضمير شيئا يكتسبه الفرد من ثقافته وإن كانت له عمومية فى كل الثقافات.

(ز) كما تهدف التنشئة الثقافية إلى منح الإنسان الشعور بالولاء أو الانتماء Loyalty، ذلك لأن الثقافة المشتركة للمجتمع تربط الأفراد جميعا فى جماعة يشعرون بالاندماج فيها. ويظهر هذا جليا عندما يتقابل شخصان من ثقافتين مختلفين، فيحس كل واحد بمدى التصاقه وانتمائه بثقافته.

وأخيرا.. ومما تقدم يمكن لنا أن نستنتج أهمية التنشئة الثقافية وأثرها فى الشخصية. فهى تعمل على تشكيل شخصية الفرد وتطبيعه بالنظام الثقافى السائد فى المجتمع بما يتضمنه من قيم ومعايير وعادات وتقاليد وأنماط السلوك وأساليب التكنولوجيا بما ينعكس على ردود أفعاله أو استجاباته، وما يتخذه من قرارات إزاء المواقف الاجتماعية التى يتعرض لها خلال حياته.

وباختصار فالتنشئة الثقافية تزود الفرد بالأبعاد الثقافية التى تخلق منه إنسانا متحضرا أو متمدينا يحمل سمات أو ملامح الطابع الثقافى القومى لمجتمعه والقادر على تحقيق مصلحته ومصلحة المجتمع الذى ينتمى إليه.

الفصل الثالث

الأبعاد الاجتماعية والثقافية للشخصية المصرية

١ - تمهيد.

٢ - الشخصية.

٣ - ملامح أو سمات الشخصية المصرية.

(أ) فيما يتعلق بالبيئة الطبيعية أو الجغرافية.

(ب) فيما يتعلق بالتاريخ.

(جـ) فيما يتعلق بالتراث الثقافى والحضارى.

٤ - إعادة تنشئة الشخصية المصرية.

٥ - الشخصية المصرية وفوضى اللغة.

الأبعاد الاجتماعية والثقافية للشخصية المصرية

١ - تمهيد :

تعمل التنشئة الاجتماعية على تحويل الفرد من كائن بيولوجى إلى كائن اجتماعى، وتقوم التنشئة الثقافية بتزويد الفرد بثقافة المجتمع وحضارته. ومن هنا تتضافر العمليتان معا فى تكوين شخصية الإنسان وتحديد ملامح أو سمات هذه الشخصية. والشخصية الإنسانية تحمل الطابع القومى العام للتراث الاجتماعى والثقافى للمجتمع الذى تنتمى إليه. كما تحمل أيضا فى الوقت ذاته طابع الثقافة الفرعية للجماعة أو البيئة أو الطبقة الاجتماعية أو المهنية التى هى عضو فيها. وهكذا يتشكل البعد الاجتماعى Social dimension والبعد الثقافى Cultural dimension للشخصية، وهما يلعبان دورا هاما فى تحديد ملامح أو سمات الشخصية، فالتنشئة أو التربية ظاهرة حضارية، والنمو البيولوجى (الطبيعى) يسير جنبا إلى جنب مع النمو الاجتماعى، طبقا لعمليات التعليم المقررة ثقافيا»[١].

---

(١) قبارى إسماعيل، علم الاجتماع الثقافى. منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٨٢ ص ٥١١.

وقبل أن نستطرد فى بيان أثر الأبعاد الاجتماعية الثقافية فى الشخصية المصرية، نجد لزاما علينا أن نعرض بشىء من الإيجاز لمفهوم الشخصية وطبيعتها ومكوناتها حتى يمكن لنا فهم كيفية تفاعل الأبعاد الاجتماعية والثقافية مع الشخصية وتحديد أهم سماتها.

٢ - الشخصية: Personality

اصطلاح الشخصية من المصطلحات التى اهتمت بدراستها مجموعة من العلوم الاجتماعية والإنسانية، وخاصة علم النفس والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع.

يرى علم النفس «أن شخصية الفرد هى التى تتكون من كل خصائصه Qualities أو صفاته، وهذه الخصائص أو الصفات يمكن التعرف عليها من خلال ملاحظة سلوك الشخص»[١].

وعلى ذلك فمن وجهة نظر علم النفس «تعرف الشخصية على أنها دراسة الفروق بين الأفراد»[٢].

أما عند علماء الأنثروبولوجيا الثقافية «فالشخصية الإنسانية هى صفحة بيضاء ينطبع عليها كل سمات الثقافة، تلك التى تفرض على الشخصية مجموع الملامح والخصائص العامة».

---

(1) Sperling, Abraham, Psychology made simple, W. H. Allen & company london, 1967, p. 169.

(2) Brody, Nathan, personality in search of individuality Academic press, Inc., San Diego, California, 1988, p. 1.

ويهتم علم الاجتماع بدراسة الشخصية «ذلك لأنه تكون مع المجتمع والثقافة الأعمدة الثلاثة التى تقوم عليها الحقيقة الاجتماعية.. ومن التعريفات السوسيولوجية للشخصية نذكر تعريف «بيسالز» حيث يرى أنها تنظيم يقوم على عادات الشخص وسماته. وتنبثق من خلال العوامل البيولوجية والاجتماعية والثقافية»[١].

ويشير «وليام صامويل W. Samuel » إلى أنه لا يمكن للباحث أن ينكر أهمية خبرات البيئة فى تشكيل والحفاظ على أنماط التفكير والسلوك الذى يتكون منه ما نسميه الشخصية»[٢].

ونلاحظ هنا أن علماء الاجتماع بصفة عامة يرون أن الشخصية الإنسانية لا تنمو ولا تتطور من فراغ، منفصلة أو مستقلة عما حولها، وإنما هى نتيجة أو محصلة طبيعية للأبعاد الاجتماعية والثقافية التى شكلتها التنشئة الاجتماعية والثقافية. «فالشخصية هى مجموعة من الدلالات التى تكشف عن طبيعة البشر، هى متغيرة وقابلة للتبديل، باعتبارها نتاجا اجتماعيا وباعتبارها أيضا نتاجا تاريخيا. ومن المجتمع والتاريخ تنبع المصادر الحضارية والثقافية لمكونات الشخصية الإنسانية»[٣].

---

(١) محمد أحمد بيومى، مرجع سابق ص ١٣٧ – ١٤٣.

(2) Samuel, William, Personality: Searching for the source of human behavior, Megraw-Hill, international book company, Inc., California, 1981, p.248.

(٣) قبارى إسماعيل، علم الاجتماع الثقافى.

ويشير «ميريل Merrill » فى كتابه « المجتمع والثقافة» إلى العوامل أو المحددات التى يعتبرها أساسية فى تكوين ونمو الشخصية بصرف النظر عن الظروف الثقافية التى تختلف بطبيعة الحال من ثقافة لأخرى، داخل الثقافة الواحدة من وقت لآخر. وهذه المحددات الرئيسية أربع هى[1] :

● محددات عالمية: كاشتراك الكائنات الإنسانية جميعا فى سمات شخصية مشتركة من حيث هم بشر.

● محددات محلية: وهى سمات معينة مشتركة مع الأعضاء الآخرين فى نفس المجتمع.

● محددات الدور: وهى سمات تحددها أوضاع الأفراد على أساس السن والجنس والأسرة وغير ذلك من معايير.

● محددات فطرية: وهى سمات خاصة بكل فرد تميزه عن غيره بسبب خصائصه الفطرية أو الوراثية.

وهناك بعض الباحثين والعلماء، وخاصة من أصحاب المدرسة الأنثروبولوجية يعتبرون العرق raĉe أو السلالة Ethnic من عناصر أو عوامل تكوين الشخصية كما كان الحال عند اليونان والرومان

---

(١) كمال دسوقى، الاجتماع ودراسة المجتمع، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧١، ص ص ١٢٧ - ١٢٨.

قديمـا، وألمانيـا حديثـا[1]. ولا شـك أن ذلـك يدعـو إلى العنصريـة والتعصب للعرق أو السلالة.

ويجدر بنا أن نشير إلى أن العوامل أو المحددات السابقة لا تختلف فى مسمياتها كثيرا عما ذكره علماء أو باحثون آخرون تحت أسماء: العوامل الوراثية أو البيولوجية والعوامل البيئية أو الجغرافية والعوامل الاجتماعية أو الثقافية. وهذه العوامل إذا تفاعلت مع بعضها تفاعلا إيجابيا متكاملا فى اتساق وتجانس أدى ذلك إلى حسن توافق الشخصية. أما إذا حدث خلل أو نقص فى واحد أو أكثر من هذه العوامل فإن ذلك يؤدى إلى سوء توافق الشخصية maladjustment مع الحياة الاجتماعية والثقافية المحيطة بها، بل ومع نفسها.

٣ - ملامح أو سمات الشخصية المصرية:

تكتسب الشخصية المصرية ملامحها أو سماتها من مجموعة من العوامل أو المقومات فى حالة تفاعل وتأثير متبادل، شكلت فى مجموعها الشخصية المصرية. وأهم هذه العوامل أو المقومات: البيئة الطبيعية أو الجغرافية، التاريخ أو مسيرة الاجتماع البشرى، والتراث الثقافى والحضارى.

---

(١) مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه، مرجع سابق، ص ص ١٦١-١٦٥.

(أ) فيما يتعلق بالبيئة الطبيعية أو الجغرافية:

كالموقع والتضاريس والأرض والمناخ والبحار ونهر النيل فيبدو أثرها فى الشخصية المصرية فى الأخذ بالحلول الوسط أو الأمر الوسط فى التفكير والمشاعر وحتى فى حلول المشاكل، فهى تميل إلى الحل الوسط، وفى رأى الدكتور جمال حمدان: أن ملامح الموقع تعد من أخطر مفاتيح تلك الشخصية. فهنا بالدقة يصل تعدد الأبعاد والجوانب فى شخصية مصر إلى حده الأقصى. إذ تتفاعل جوانب الموقع مع جوانب الموضع إما فى تلاق وتلاقح أو فى تعارض وتناطح، وبهذا التفاعل الخلاق تكتمل تلك الشخصية حتى تبلغ مداها ومدى آفاقها، وتخرج مصر من بينها وهى واسطة العقد ومتوسطة الدنيا وسيدة الحلول الوسط[١].

أما عن الأرض والتضاريس، فعدم وجود الجبال وكثرة السهول والصحارى والبحر بين الشمال والشرق، والمناخ الصافى طوال شهور السنة جعل الشخصية المصرية تميل إلى الهدوء والخيال والتأمل أكثر من ميلها إلى العنف والعدوان. ولذلك كثر فيها المفكرون والأدباء ورجال الثقافة والشعراء أكثر من العسكريين. ولعل الدين الإسلامى وتعاليمه وتمسك المصرى بها قد ساعد على تنمية هذه الصفات والسمات.

---

(١) جمال حمدان، شخصية مصر: دراسة فى عبقرية المكان، عالم الكتب، ١٩٨٠، ص ٤١.

أما النيل فقد أثر أيضا فى الشخصية المصرية، ولقد فرض على المصرى أن يكون بعيد النظر، مفكرا فى غده ومستقبله، وذلك بسبب ظاهرة الفيضان ونظام زراعة الأرض الذى غرس أيضا فى الشخصية المصرية حب الروتين والسير على منوال معين. كما أن نظام الرى النيلى طبع الشخصية المصرية بسمة المركزية فى العمل، ونظام الزمالة والتعاون بين الفلاحين مما أدى إلى نوع من التماسك بين أفراد الأسرة كذلك أدى صفاء الجو وجمال النهر إلى تقوية الحس المصرى. أما الزارعة على مياه نهر النيل فقد صبغت الشخصية المصرية بصبغة الاستقرار إلى حد كبير[1]. إلا أن ظروف الحياة المعيشية الآن قد دفعت بعدد غير قليل من المصريين إلى الهجرة والاغتراب، ولكنهم لا زالوا يحملون صفة الولاء لوطنهم. «صحيح أن مصر، لأنها كثافة بلا هجرة، كانت لا تصدر الرجال وإنما الحضارة»[2].

وقد فسر الأب عيروط «روح التعاون بين الفلاحين التى تتجلى فى المناسبات الاجتماعية والعمل فى الحقول بأنها ترجع إلى قصور إمكانيات الفلاحين، وما التعاون إلا مظهر للتغلب على الإمكانيات المحدودة.. والفلاح المصرى صبور، وصبره من نوع فريد، هو صبور

---

(١) حسن شحاتة سعفان، أسس علم الاجتماع، مرجع سابق. ص ١٨٤.

(٢) جمال حمدان، مرجع سابق، ص ٤٣.

ومستسلم لكثرة ما اعتاد على الخضوع، يرتكز صبره على الإيمان المطلق بالله»[1]. وقد ورث الفلاح المصرى هذا الإيمان من تراث ثقافته الفرعونية حيث «كانت العقيدة الدينية الفرعونية تتركز حول منصب الفرعون الذى كان همزة وصل بين الأمر الإلهى والكائنات الإنسانية»[2].

وقد شجب لويس عوض «وصف المصريين بالخضوع والاستسلام عندما بين أن ثورات المصريين كانت لا تنقطع فى فترات عديدة.. كما تبين كتابات بيير ولويس عوض أن الاستسلام والاستكانة والهدوء ليست من طباع المصريين.. وأن تاريخ مصر مملوء بالانتفاضات وكبواتها، وهذه الكبوات ترجع إلى خلو هذه الثورات من المضمون الفكرى لا إلى استسلام الشعب»[3].

(ب) وفيما يتعلق بالتاريخ:

فمصر عريقة فى التاريخ، أكثر من سبعة آلاف سنة من عمر التاريخ « وفى القرآن قال تعالى:

﴿ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ مِصۡرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾ (سورة يوسف الآية: ٩٩).. وهى الوادى المقدس طوى، وهى وطن هاجر أم إسماعيل

---

(١) محمد سعيد فرج، الشخصية القومية، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٨١، ص ٢٧.

(2) Trigger, B. G., & others, Ancient Egypt: Social history, Cambridge University Press, Canbridge, 1983, p. 293.

(٣) محمد سعيد فرج، الشخصية القومية، مرجع سابق، ص ٢٩.

وماريا زوج النبى ﷺ وأم ابنه إبراهيم، وهى وطن قارون الذى أتاه الله من الكنوز.. وهى وطن البناة أصحاب الصروح: هامان ورجاله، وهى قبلة الأنبياء، رعتهم وساندتهم»[1]. منهم يوسف وموسى حتى آدم الذى فتح عينيه على الجنة راعته مصر أيضا - والعهدة على السيوطى - فقد عقد فصلا فى كتابه الكبير (حسن المحاضرة) يروى فيه أن آدم عليه السلام عندما رأى مصر وقع من سحرها فى بحرين من الدهشة والسكرى»[2].

ولقد تعرضت مصر للغزوات والهجرات «حتى العرب الذين يمثلون ثالثة الهجرات وأكبرها لم تغير التجانس الأصلى للسكان على الرغم من تكلم مصر العربية واعتناقها الإسلام فكأن مصر احتوت الهجرات والغزوات والوفادات وامتصتهم لا سياسيا فحسب، بل عرقيا أيضا وراحوا جميعا، وظلت هى الباقية»[3].

وقد أثرت مصر فى جيرانها منذ القدم وحتى الآن «كانت علاقة مصر مع جيرانها قوية وكان لها تأثير كبير فيهم ليس فقط على قدرتها فى العمل السياسى، ولكن أيضا على قدرتها فى

---

(١) نعمات فؤاد، شخصية مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨، ص٢٥٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٥٨.

(٣) المرجع السابق، ص ص ٢٥٢ - ٢٥٣.

التنمية الاجتماعية والاقتصادية»[1]. فمصر حتى الآن المثال أو النموذج بين جيرانها.

وقد اكتسبت الشخصية المصرية من تجارب التاريخ والاجتماع البشرى صفات التكافل الاجتماعى والتماسك والصبر «إن الشعب المصرى شعب صبور، فالصبر نمط سلوك يتكرر فى الحياة الاجتماعية وسمة أساسية تشكل الشخصية المصرية.. والصبر يلعب دورا كبير فى شبكة العلاقات الاجتماعية»[2].

وهكذا إذا كانت مصر عريقة فى التاريخ، فإن الشخصية المصرية عريقة فى التاريخ أيضا وخاصية العراقة والأصالة هذه جعلت الكثير من المفكرين والباحثين المحايدين والموضوعيين يحترمون مصر والمصرى، بالرغم مما طرأ على مصر والمصريين من تغيرات فى الآونة الأخيرة. مع أن «التغيرات التى لحقت النمط العرقى فى أى جزء من أوروبا خلال السنوات الخمسمائة الأخيرة، كانت أكبر منها فى مصر خلال خمسة آلاف سنة»[3].

(جـ) وفيما يتعلق بالتراث الثقافى والحضارى:

فإنه يعد من المقومات الأساسية التى أثرت فى تشكيل الشخصية المصرية، فالتراث الثقافى والحضارى المصرى يعود فى جذوره إلى

---

(1) Trigger, B.G., & others, op, cit., p. 337.

(٢) محمد سعيد فرح، الشخصية القومية، مرجع سابق، ص ٣٠.

(٣) نعمات فؤاد، مرجع سابق، ص ٢٥١.

الفرعونية، ولكنه امتزج بثقافة وحضارة الغزاة والوافدين من الإغريق والرومان. وقد اعتنق المصريون المسيحية ثم الإسلام بعد دخول العرب، حيث انتشرت الثقافة العربية وتكلموا لغتها. ومع تغلغل الثقافة العربية الإسلامية في المجتمع المصرى، أصبحت الشخصية المصرية متدينة، شديدة التمسك بالدين وتعاليمه في المساواة والتسامح. وأعاد الإسلام صياغة العلاقات الاجتماعية بين المصريين، ونظم لهم الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. - «فرعونية هى بالجد - لكنها عربية بالأب.. غير أن كلا من الأب والجد من أصل مشترك ومن جد أعلى واحد.. وما كان الإسلام والتعريب إلا إعادة توكيد وتكثيف وتقريب.. فلا تعارض ولا استقطاب بين المصرية والعربية، إنما هى اللحمة والسداة فى نسيج قومى واحد»[1].

ومن خلال معالجة «عباس العقاد» لموقف الإنسان من الدين.. فإنه يرى أن الذهن المصرى ذهن عملى واقعى.. كما كان يرى أن العقيدة الدينية عند المصرى منذ القدم، كانت تخلو من التعصب وخلو تاريخ مصر الدينى من المذابح الطائفية[2].

وقد تأثرت المعتقدات الشعبية المصرية بصفات مثل الخوف والقهر والمرض والفقر كما تأثرت هذه المعتقدات بحالة الدولة

---

(١) جمال حمدان، مرجع سابق، ص ٤٥.

(٢) طاهر عبد الحكيم، الشخصية الوطنية المصرية، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٧٩.

وأخلاقها وقوتها. وقد ظهر ذلك كله فى الفنون الشعبية[1]. وقد انعكس أثره على سمات أو خصائص الشخصية المصرية.

وفى العصر الحديث اتصلت مصر بالثقافة والحضارة الغربية سواء عن طريق الغزو الاستعمارى الفرنسى والإنجليزى، أم بخروج أعداد من المصريين إلى الغرب للتعرف على ثقافته وحضارته، وعادوا وقد نقلوا بعض سمات أو خصائص هذه الثقافة التى امتزجت بالثقافة المصرية العربية الإسلامية. وقد استطاعت الشخصية المصرية أن تهضم كل هذه الثقافات وتتمثلها وتتكيف معها، وأصبحت تميل إلى حب العلم والمعرفة والإيمان بالحرية والديموقراطية. ومع ذلك حاولت الشخصية المصرية المزج أو التوفيق بين الأصالة والمعاصرة. وهذا ما يؤكد سمة أو خاصية الوسطية.

ويرى «جان بيرك» أن الشخصية المصرية لديها القدرة على أن تجمع فى وقت واحد.. فرعونيتها، ومتوسطيتها، وشرقيتها.. لأنها كل ذلك فى وقت واحد، فإنها تتميز بالثقة بالنفس والقدرة على اكتشاف الذات[2].

وبالرغم من ذلك، لم تكن الشخصية المصرية دائما إيجابية فى سماتها وملامحها، ولكن ظهرت بعض الملامح أو السمات السلبية فى

---

(1) Kanouk, Liliane, Modern Egyptıan Art, The american University press in Cairo, 1988, p. 47.

(٢) طاهر عبد الحكيم، مرجع سابق، ص ٦٩.

الشخصية المصرية. ويرجع ذلك إلى تاريخها الطويل وتعرضها خلال ذلك لعصور طويلة من القهر والاستبداد، خلال سيطرة المستعمرين المتعددين عليها. وكذلك من الثقافة والحضارة الغربية التى كانت تميل بطبيعتها إلى النواحى المادية أكثر من النواحى الروحية، والتى شجعت سيادة أو طغيان هذه النواحى المادية حيث صبغت الشخصية المصرية ببعض الملامح أو السمات السلبية مثل: الانعزالية أو السلبية، اللامبالاة أو (الأنا مالية)، التقليد وضعف روح الابتكار، الأنانية أو الفردية أو النفعية العملية، الاتكالية على الآخرين وخاصة على الدولة أو الحكومة فى حل مشاكلها وتدبير أمورها.

ومن الملامح أو السمات السلبية أيضا. أحجام الكثير عن ممارسة حقوقهم السياسية، الأنماط الاستهلاكية الضارة، الخوف بالرغم من أن المصرى القديم كان متحررا من الخوف لإيمانه العميق بوجود رب يحميه مما أكسبه ثقة فى نفسه فجرت فيه قوى الإبداع والخلق.. إنه إذن الإيمان والطمأنينة والثقة. وهنا مفتاح من مفاتيح الشخصية المصرية يجب أن نبحث عنه فيما ضاع[1].

ومن سلبيات الشخصية المصرية أيضا كثرة ترديد عبارة إننا أصحاب حضارة تمتد إلى سبعة آلاف سنة مما دفعنا إلى التباهى

---

(١) نعمات أحمد فؤاد، مرجع سابق، ص ٣٠٦.

بذلك، فى نفس الوقت الذى تراخينا فيه واتكلنا على ذلك التراث التاريخى ولم نزده أو نستفد منه بشكل جيد فى الجذب السياحى لبلادنا. فالاتكالية على الماضى قد تعوق تقدمنا وتطلعنا دائما إلى مستقبل أفضل.

ومن السلبيات أيضا أنه قد اشتهر عند بعض المصريين عدم الدقة فى العمل، وخاصة فى الخطوات النهائية، وصعوبة التعامل مع الزمن[1].

وقد أدى ذلك إلى عدم جودة السلعة المصرية بدرجة متقنة تنافس مثيلاتها الأجنبية، وكذلك الاستهانة بالوقت وإهداره فيما لا يفيد الفرد أو المجتمع.

٤ - إعادة تنشئة الشخصية المصرية:

وبعد.. إن الخلاص من مثل هذه السلبيات، بعضها أو كلها، لا يأتى إلا إذا أعدنا بناء أو تشكيل أو تنشئة الشخصية المصرية على قيم ومبادئ جديدة، ومعايير وأنماط للسلوك مختلفة عن السائدة حاليا حتى نستحق بحق أن نشرف بالدخول إلى القرن الحادى والعشرين ونحن أحسن حالا مما نحن عليه. ولن يتم ذلك إلا بإعادة النظر فى عملية التنشئة وهيكلة مؤسسات التنشئة على أسس

---

(١) محمد سعيد فرج، الشخصية القومية، مرجع سابق، ص ٢٧٤.

وقيم ومثل ومعايير جديدة. أو بتعبير آخر.. إعادة خلق أو صنع الثقافة والحضارة المصرية وتطويرها مع تدعيم دور الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام وغيرها من مؤسسات التنشئة وذلك من خلال نظام جديد للتعليم يتناسب مع روح العصر والتكنولوجيا الحديثة وثورة المعلومات والتوسع فى مفاهيم الحرية والديموقراطية والتعددية الحزبية وتداول السلطة مع الأخذ فى الاعتبار بتعاليم الدين الإسلامى الحنيف حتى نمزج بين الأصالة والمعاصرة.

«ولا يمكن أن نعيد بناء الشخصية المصرية إلا إذا خلقنا أولا من أنفسنا مجتمعا ناضجا متحضرا يرعى الحق والخير والجمال.. مجتمعا كل شىء فيه محسوب فلا نغرق فى المدح إذا رضينا أو رهبنا، ولا نسرف فى الذم إذا عادينا أو غضبنا.. مجتمعا لا يداهن ولا يصانع، بل يؤمن فيه كل فرد حاكما أو محكوما بأهمية كل فرد، وحرية الرأى، والعمل، والتسامح، واتخاذ سبيل الاقناع بدلا من القوة. نريد الإحكام والحكمة فى العمل والكلام معا. تلك الصفات التى يعدها «هوايتهد» من مستلزمات الحضارة»[1].

ومع ذلك، يبقى أن نقول إن هذه الخصائص أو السمات عن الشخصية المصرية أو الشعب المصرى هى خصائص أو سمات

---

(١) د. نعمات فؤاد، مرجع سابق، ص ٣٠٧.

متناقضة لا تعدو أن تكون فروضا قال بها أفراد.. مجرد انطباع باحث أو مفكر يحتاج إلى التجريب والاختيار وقواعد المنهج العلمى تعتمد على التحليلات الكمية والكيفية[1].

ونقول أيضا إن ما أصاب الشخصية المصرية من تغيرات سلبية فى بعض سماتها أو خصائصها هى تغيرات مؤقتة أو طارئة، ما تلبث أن تظهر أصالتها فى المواقف الصعبة كالحروب والأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية. ويؤكد ذلك أصالة الشعب المصرى فى مواقفه أثناء حرب السويس ١٩٥٦، وعقب هزيمة يونيو ١٩٦٧، وأثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣، وعقب اغتيال الرئيس السادات ١٩٨١، وما يحدث الآن من تحمل الشعب لتبعات عملية الاصلاح الاقتصادى. هذا بالرغم من محاولات البعض محليا ودوليا للتشكيك فى أصالة الشعب المصرى والعداء السافر لدور مصر الريادى فى المنطقة. فهى رغم كل ذلك تقوم بدورها المحورى فى عملية السلام فى الشرق الأوسط، ويرجع ذلك إلى مصداقية مصر وأصالتها بين دول العالم.

ويترتب على ذلك استمرارية عملية التنشئة الاجتماعية والثقافية من خلال مؤسساتها المتعددة على أساس القيم والتقاليد الأصيلة لمجتمعنا التى كدنا نفقدها فى زحمة مشاكلنا المتعددة. وبذلك يمكن لمصر أن تحقق المعادلة الصعبة فى مسألة «الأصالة والمعاصرة».

---

(١) د. محمد سعيد فرج، الشخصية القومية، مرجع سابق، ص ٣١.

٥ - الشخصية المصرية وفوضى اللغة:

فى كتابه بعنوان «آفاق فى الإبداع الفنى رؤية نفسية» يقدم الدكتور/ أحمد عكاشة أستاذ الطب النفسى الشهير فصلا عن الشخصية المصرية موضحا سماتها كالاعتمادية والسلبية والعدوانية والاستهوائية والتمركز حول الذات وعدم المثابرة وسلوك رد الفعل والتصور الخاطئ للدين وإهمال الواقع والانغماس فى القرارات الانفعالية، وفوضى استخدام اللغة والاستهانة بالمجتمع وغيرها.

إن اللغة تعتبر من الأسس التى تبلور الشخصية الوطنية، وإن فوضى اللغة التى نعيشها فى مصر الآن جعلت الشخصية المصرية تتأثر بسلبيات التعبير فى الفكر. فاللغة لها تأثيرها على سمات الشخصية. ويتضح ذلك من مشاهد اللغة فى التعليم الأمريكى والتى تختلف عنها فى التعليم البريطانى تماما.

وإذا نظرنا إلى اللغة فى أفلامنا العربية واستبعدنا عامل اللهجات المختلفة تبين لنا تفرد اللغة التى تستعملها الشخصية المصرية بألفاظ وجمل تحتاج إلى دراسة نفسية عميقة ويحتمل بدء هذه اللغة الفريدة مع مسرحية مدرسة المشاغبين وتأثيرها على الأجيال المختلفة.

وتعتمد المنظومة الفكرية والقدرة على الابتكار والتحديث وحاسة الإبداع والخلق، بل والتذوق الجمالى والثقافى على تواصل

اللغة وتوحدها. فالفوضى فى اللغة تسبب تشتتا فى الفكر، وانهيارا فى التذوق الأدبى والجمالى.

لقد أثرت فوضى اللغة فى قدرتنا على التذوق الجمالى، وأصبحنا لا نميز الشىء القبيح من الجميل، بل أصبح التذوق الجمالى مقصورا على فئة خاصة حتى لا تشترك فيها فئات الشعب المختلفة.

ويذهب الدكتور عكاشة إلى أن دور الإعلام فى هذا المجال هو الارتفاع بالتذوق الجمالى والثقافى للشعب والتركيز على نوعية الأداة المقدمة وليس على كميتها.

ويخلص الدكتور عكاشة إلى أن نهضة الأمة المصرية والعربية تعتمد إلى حد كبير على الاهتمام بقدرتنا على التواصل بلغة موحدة، وعلى محاربة فوضى اللغة، وتمكين كل فئات الشعب من التذوق الثقافى والجمالى، وتجنب غمسهم فى طرب وتسلية لا طائل من ورائها سوى نسيان معاناتهم اليومية بدلا من العمل على مواجهتها[١].

---

(١) د. عبد العزيز شرف، عرض لكتاب: آفاق الإبداع الفنى: رؤية نفسية للدكتور / أحمد عكاشة، جريدة الأهرام ٢٠٠٢/١/٢٥.

الفصل الرابع

الطفل بين .. الحقوق.. والقيم

١ - تمهيد.

٢ - الطفل وحاجاته الضرورية.

٣ - الحقوق.

٤ - القيم.

٥ - رؤية مستقبلية.

الطفل بين الحقوق .. والقيم

١ - تمهيد :

يعتبر «ستانلى هول» هو رئيس حركة دراسة الطفل والطفولة، حيث تمكن فى عام ١٨٨٣ من نشر كتابه «محتوى عقل الطفل عند التحاقه بالمدرسة» كما أنه أصدر أيضا عددا من المقالات فى مجال دراسة الطفل العلمية.

وقد ساعد نمو وتطور علم النفس فى تقدم دراسات الطفل والطفولة ودفعها إلى التقدم بخطوات واسعة. ففى عام ١٩٠٤ أصدر «وليم شترن» كتاب «سيكولوجية الطفولة المبكرة» حيث أصبح علم النفس السلوكى صاحب فضل كبير فى زيادة معلوماتنا عن الطفل الصغير.

ومن العلماء الذين قاموا أيضا بدراسة الطفل «تشارلس داروين» الذى استطاع أن ينشر كتابه بعنوان «حياة طفل يومية» وذلك فى عام ١٨٧٧. كما كان أيضا «وليم براير» أحد زعماء حركة دراسات الطفل والطفولة. أما «كلين كاى» فكانت أول من استخدم عبارة «قرن الطفل» وهى عبارة استخدمت لكى تعبر عن حركة دراسة الطفل والطفولة وخاصة فى الربع الأخير من القرن

التاسع عشر[1]. ثم جاء القرن العشرون حيث زاد نشاط حركة دراسة الطفل والطفولة واستأثرت بفكر وعلم العلماء والباحثين ليس فقط فى علم النفس وإنما أيضا فى علم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع السياسى. ولا نغالى إذا قلنا إن القرن الواحد والعشرين تشهد بداياته اهتماما كبيرا بالطفل نفسه من حيث توفير كل الوسائل والآليات التى تساعد على نمو الطفل وتنشئته فى جو ومناخ صحى من جميع النواحى الجسمية والاجتماعية والنفسية والأخلاقية.

ومن نافلة القول أن حركة دراسة الطفل تهتم بدرجة كبيرة وأساسية بدراسة فكرة النمو.. أى نمو الطفل منذ الميلاد وحتى نهاية مرحلة الطفولة المتأخرة.

٢ - الطفل وحاجاته الضرورية:

كلمة الطفل فى اللغة تعنى المولود والجمع أطفال، ويقال إنه طفل حتى يحتلم.

كذلك الطفل هو الصبى، والصبى يدعى طفلا حين يسقط من بطن أمه إلى أن يحتلم.

والطفل أيضا هو الصغير وقد ربطت العرب بين صغار الإبل وصغار الإنسان فى مماثلة المفهوم، ومنه قول الأعشى:

---

(١) د. صالح عبد العزيز، التربية وطرق التدريس، الجزء الثالث، دار المعارف، ١٩٦٥، ص ص ١٣٨ - ١٣٩.

ترى القــوم فيهــا شارعين وبينهــم ..

مـع القــوم ولــدان مـن النســل دردق

وكلمة دردق تعنى صغار الإبل.

وعلى ذلك فالطفل هو المولود حتى البلوغ سواء أكان الطفل هو: المولود أم الصبى أم الغلام أم الولد[1].

وقد وردت كلمة الطفل فى القرآن الكريم أربع مرات:

اثنتان منها تشيران إلى المرحلة المبكرة. قال تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ آية ٦٧ من سورة غافر،

﴿ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ﴾

آية ٥ من سورة الحج.

-ومرة واحدة تشير إلى المرحلة المتوسطة من عمر الطفل قال تعالى:

﴿ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ﴾

آية ٣١ من سورة النور.

---

(١) د. أحمد زلط، الطفولة والأمومة، دار المعارف، ١٩٩٢، ص ١٢.

– والمرة الرابعة تشير إلى المرحلة المتأخرة. قال تعالى:

﴿ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾

آية ٥٩ من سورة النور[١].

والطفولة مرحلة عمرية متدرجة من عمر الكائن البشرى، ومدة الطفولة البشرية أطول من طفولة أى كائن على وجه الأرض، ذلك لأن الطفل البشرى يحتاج إلى زمن طويل لتربيته وتنشئته حتى يستطيع أن يعتمد على نفسه. وهذا هو السبب فى طول مدة الطفولة البشرية، وأيضا السبب فى أن غريزة الوالدية عند الإنسان أرقى منها عند الحيوان وأكثر مرونة. ولما كان الطفل البشرى أضعف أنواع الأطفال وأكثرها اعتمادا على غيره، كان من الضرورى أن يقوم الكبار برعايته والإشراف على طعامه وشرابه ونومه أى بتنشئته اجتماعيا وخاصا فى السنتين الأوليين، وإلا كان الطفل عرضة للموت أو الهلاك. كذلك لما كان الطفل البشرى يحتاج إلى مدة أطول فى تنشئته، كان عدد توالد الإنسان أو تكاثره، أقل منه عند الحيوان[٢].

---

(١) المرجع السابق، ص ص ١١ – ١٢.

(٢) صالح عبد العزيز- وعبد العزيز عبد المجيد، التربية وطرق التدريس، الجزء الأول، دار المعارف بمصر، ١٩٦٨، ص ص ٩٦ – ٩٧.

والسنوات الأوَل للطفل لها تقدير خاص عند من يعملون فى ميدان رعاية الأطفال على أساس أنه فى ضوء التنشئة الاجتماعية التى تتم للطفل فى هذه المرحلة، تتأثر حياته المستقبلية إلى حد كبير، وكما ذكرنا سابقا، فإن التنشئة الاجتماعية والتنشئة الثقافية للطفل يساهمان بدرجة كبيرة من خلال تفاعلهما فى تشكيل شخصية الطفل وقد نجد هنا دورا مهما للخدمة الاجتماعية حيث تعمل بالضرورة فى مجال الطفولة مع الأطفال أنفسهم ومع العناصر المرتبطة بهؤلاء الأطفال باعتبار أنهم قوى ذات تأثير كبير على نموهم[1].

وقد قسم علماء علم نفس النمو مراحل الطفولة إلى ثلاث مراحل هى:

(أ) مرحلة الطفولة المبكرة infancy

(ب) مرحلة الطفولة الوسطى middle childhood

(جـ) مرحلة الطفولة المتأخرة late childhood

وهناك من علماء علم نفس النمو من يضع مرحلة رابعة ولكنها سابقة على مرحلة الطفولة المبكرة أطلقوا عليها «مرحلة الجنينية» وهى الفترة التى يكون الفرد فيها جنينا فى بطن أمه أو رحم أمه. ومرحلة الطفولة المبكرة تبدأ منذ الميلاد وحتى سن الخامسة. أما

---

(١) د. أحمد كمال أحمد، وعدلى سليمان، الخدمة الاجتماعية والمجتمع. مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٣، ص ٤٨١.

مرحلة الطفولة الوسطى فهى تبدأ من سن السادسة وحتى العاشرة، ومرحلة الطفولة المتأخرة تبدأ من الحادية عشرة وحتى البلوغ.

والطفل منذ ولادته وحتى انتهاء مرحلة الطفولة وخلال عمليتى التنشئة الاجتماعية والثقافية فى حاجة ماسة إلى مجموعة الحاجات needs حتى يسير نموه فى الاتجاه السليم وحتى تتم تنشئته بشكل صحى وسليم، ولا يكون عرضة للوهن والضعف أو للأمراض فينشأ الطفل عليلا سقيما ويكون عالة على أسرته وعلى مجتمعه.

ومن الحاجات الضرورية للطفل نذكر أهمها باختصار:

(أ) الحاجة إلى النمو الجسمى والعقلى. ويتلقى الطفل هذه الحاجات فى المنزل ثم يستكملها فى المدرسة.

(ب) الحرية.. ويقصد بها حرية الطفل فى أنه يعبر عن اهتمامه ورغباته بل وغرائزه أو دوافعه الأولية بكل صور التعبير المختلفة فى المنزل وفى المدرسة أيضا بل ومع رفاق اللعب.

وعلى الأسرة والمدرسة أن تهيىء كل الظروف التى تتيح له التعبير عن حريته.. فى التفكير والكلام واللعب والرسم بل واعتناق بعض المبادئ أو الأفكار السياسية. ولكن كل ذلك فى ضوء التوجيه الصحيح من أفراد الأسرة وإدارة المدرسة فى إطار من القيم الأخلاقية والدينية.

(جـ) الحب والعطف.. سواء فى الأسرة من الوالدين والأخوة والأخوات أم فى المدرسة من المعلمين وزملاء الدراسة وذلك دون إسراف أو تدليل.

(د) الشعور بالأمن والأمان سواء فى المنزل أم فى المدرسة وهذه الحاجة هى وليدة توفير الحاجات الجسمية والعقلية السليمة والتوجيه السليم وإشاعة مشاعر الحب والعطف فى نفس الطفل. وهذا الشعور بالأمن والأمان يولد لديه الثقة بالنفس وسلامة الشخصية من أى انحراف مما يؤدى إلى نجاحه فى حياته ودراساته.

(هـ) التقدير الاجتماعى.. هو حاجة نفسية ترتبط بشعور الأمن والأمان أو دافع التماس الأمن. وهذه الحاجة تدفع الطفل دائما أن يكون موضع تقدير واحترام من الآخرين سواء فى الأسرة أم فى المدرسة مع زملاء اللعب. والتقدير الاجتماعى يولد لدى الطفل شعورا بأن له قيمة اجتماعية أو مكانة اجتماعية عالية بين الآخرين.

(و) والشعور بالانتماء.. هو حاجة نفسية أيضا ترتبط بالشعور بالأمن والأمان. فالطفل عندما يستقر لديه الشعور بالأمن فى أسرته أو فى مدرسته أو مع زملاء اللعب يتولد لديه شعور بالانتماء إلى الجماعة التى يتوحد معها وهى أسرته أو مدرسته أو زملاؤه فى اللعب. وقد ينمو لديه هذا الشعور بالانتماء عندما يكبر ويتحول من أسرته إلى مجتمعه الكبير أو وطنه.

وفى سيرة النبى ﷺ المثل الأعلى لتكريم الطفل والطفولة. فإن حياة النبى ﷺ تفيض بإكرام الطفولة، ولم يؤت أحد قط ما أوتى الرسول من حب أطفاله وأولاده، وحفدته. وكان النبى ﷺ على جلال سنه وعظمة مقامه، وعلو منزلته يحنو على الأطفال ويصبو إليهم، كان يحب الطفل حبا جما ويدعو له بالرحمة ويشفق عليه، وكان ﷺ يسمى الولد ريحان الله. وكان الحسن والحسين وهما طفلا ابنته ريحانتيه من الدنيا، وأولاد الأبناء عنده بمنزلة الولد. كان يمضى طرفا من الوقت مع طفليه هذين يشمهما ويضمهما إليه[1]. وإذا كان علماء التربية المحدثون وعلماء النفس أيضا قد اهتموا بدراسة الطفل والطفولة. فإنه يمكن القول إن العرب الأوائل قد اهتموا بالطفولة أيضا مكانة ومعنى. وهذا ما كان من رسول الله ﷺ مع الأطفال. والحق أن مكانة الطفل الكبير فى التراث والنصوص الباقية عن العرب تدل على معنى الطفولة العميق عند أسلافنا، وتعكس صدق نظرتهم الأصيلة تجاه الطفل ومنزلته فى المجتمع بعامة وفى قلوب الآباء والأمهات والناس على امتداد تاريخ الأمة بشكل خاص[2].

---

(١) د. أحمد زلط، المرجع السابق، ص ١٤.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣.

ترتيب الطفل فى الأسرة:

إن ترتيب الطفل فى الأسرة له تأثير كبير فى السلوك الاجتماعى لدى الطفل. بل وأفراد الأسرة خاصة الوالدين.. وقد أثبتت بعض الملاحظات التجريبية أن هناك بعض المشاكل التى قد تنتج عند بعض الأطفال نتيجة لوضعهم أو ترتيبهم فى الأسرة. فالطفل الوحيد له مشاكله الخاصة، وكذلك الطفل الأول، والطفل الأخير. وهناك الذكر بعد عدة إناث، والأنثى بعد عدة ذكور. والطفل الذى يولد بعد عدة وفيات أو الطفل الذى يولد بعد فترة طويلة من عدم الإنجاب.

وقد قام فريق من علماء النفس الإكلينيكى بدراسة وافية لمعرفة ما يترتب على مركز الطفل فى الأسرة من آثار على شخصيته فوجدوا أن:

(أ) مركز الطفل ليس إلا عاملا من عوامل عدة تؤثر فى شخصيته.

(ب) مركز الطفل قد يكون ميزة له، أو كارثة عليه، أو لا أهمية له. فالأمر كله مرهون بموقف الوالدين منه، والجو العام الذى يسود الأسرة.

(جـ) نفس المشاكل السلوكية تعرض للأطفال فى كل مركز يحتلونه وبنفس النسبة[1].

---

(١) د. أحمد عزت راجح، مرجع سابق، ص ص ٥٣٣ – ٥٣٤.

ويمكن لنا أن نحدد أثر الأسرة بصفة خاصة على الطفل فى عملية التنشئة الاجتماعية والثقافية من خلال عدة عوامل من أهمها الوضع الاجتماعى والاقتصادى للأسرة، المستوى الثقافى، حجم الأسرة، درجة تماسكها واستقرارها، الجو العاطفى الذى يظهر فى معاملة الوالدين للطفل، وكذلك معاملة الوالدين لبعضهما البعض، وما يقوم به الأخوة والأخوات من تنافس.

ومهما تكن حالة الأسرة ومستواها فإن وظيفتها تنحصر فى تنشئة الطفل طبقا للطابع الثقافى العام للمجتمع فى حدود ثقافتها الخاصة ووسطها الاجتماعى الخاص[1].

ومن الجدير بالذكر أن الأسلوب الذى يتم تنشئة الطفل عليه وخاصة فى سنواته الأوَل يؤثر تأثيرا هاما على تكوينه النفسى والاجتماعى. فإذا كانت الطريقة أو الأسلوب تقوم على إثارة مشاعر الخوف لدى الأطفال، ترتب على ذلك تعرضهم للاضطراب النفسى والتأخر فى نواحى النمو المختلفة الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية والذى يؤثر بدوره فى صحتهم النفسية فى مستقبل حياتهم.

ومن أهم العوامل التى تؤدى إلى هذا الاضطراب نذكر:

(أ) الحرمان من رعاية الأم.

(ب) شعور الطفل بأنه غير مرغوب فيه أو بأنه منبوذ.

---

(١) المرجع السابق، ص ٥٢١.

(جـ) إفراط الوالدين فى التدليل والتسامح والاهتمام الزائد بهم فى مقابل الإفراط فى العقاب الشديد أو الاستبداد بهم.

(د) طموح الآباء بالنسبة لمستقبل الأبناء بما يفوق إمكانياتهم.

(هـ) تضارب آراء اتجاهات الوالدين فى تربية الأبناء.

ولكى نتحاشى أو نتجنب هذه الاضطرابات النفسية والسلوكية فإنه يجب أن نشير إلى ما يجب على الأسرة وأيضا على المدرسة أن تقوم به نحو الطفل وبصفة خاصة فى مرحلة الطفولة المتأخرة وقبل أن ينتقل إلى مرحلة نمو أخرى هى البلوغ والمراهقة:

(أ) الإكثار من أنواع النشاط المدرسى والرحلات والأعمال الجمعية.

(ب) مساعدة الطفل على أن يستقى معلوماته من الملاحظة والتجربة ودراسة البيئة المحيطة به بدلا من نقل المعارف إليه مهيأة جاهزة شفهيا أو عن طريق الكتب.

(جـ) إشباع غريزة حب الاستطلاع والقراءة.

(د) إشباع ميل الطفل إلى الملكية بتشجيعه على تملك الكتب بطرق مشروعة وطوابع البريد وصور الزعماء، وادخار النقود.

(هـ) استغلال ميوله الجمعية أى المساهمة فى العمل المشترك مع الآخرين وتعويده تحمل المسئولية والشعور بالواجب، واحترام القانون والسلطة.

(و) استخدام التفكير المنطقى السليم والاستدلال دون الاعتماد على الحفظ والتلقين والذاكرة الآلية.

(ز) اختيار زملاء اللعب والأصدقاء، وذلك لأن الطفل فى هذه المرحلة يكون شديد التأثر بالعمل بروح الفريق ولابد من وجود جماعة مرجعية لعمله وسلوكه التى تتمثل فى زملاء اللعب[(١)] .

وأخيرا.. تعتبر تنمية الطفل والطفولة ورعايتها العامل الأساسى فى التنمية الشاملة. ذلك لأن الرعاية السليمة للطفل والطفولة تمثل المستقبل وحجر الزاوية لتقدم الأمة ونهضتها.

ويتطلب ذلك ضرورة الاستجابة لحاجات الطفل الأساسية التى أشرنا إليها سابقا وإلى ما ذكرناه أيضا عن دور الأسرة والمدرسة فى رعاية الطفل بالإضافة إلى الاعتماد على التخطيط العلمى السليم لكل الموارد البشرية والمادية والمعنوية لتنشئة الطفل اجتماعيا وثقافيًا خلال مراحل نموه التى أشرنا إليها.

٣ - الحقوق Rights

* مفهوم الحق:

يختلف مفهوم الحق تبعا لطبيعة المجتمع الإنسانى وكيانه، ونتيجة لوضع الفرد فى البناء الاجتماعى والاقتصادى الذى يعيش فى ظله.

---

(١) صالح عبد العزيز، وعبد العزيز عبد المجيد، التربية وطرق التدريس، ج ١، مرجع سابق، ص ١١.

وقد تطور مفهوم الحق بتطور المجتمعات البشرية. وقد لوحظ أن المجتمعات البدائية التى لم تكن تعرف فكرة الملكية الخاصة، حيث المساواة التامة بين جميع أفراد المجتمع فى الحصول على ما يريدون من وسائل المعيشة واستمرار الحياة.. لوحظ أن هذه المجتمعات لم تكن تعرف هذا المفهوم. ذلك لأن هذا الحق قد يعطى امتيازا لفرد أو لجماعة على فرد آخر أو جماعة أخرى. وهم فى الواقع لا يحصلون على امتيازات خاصة لأن كل شىء متاح لكل فرد.

ولما تطورت المجتمعات البشرية، وظهرت النزعات الطبقية والفردية وخاصة فى مسألة « التملك» أو «الملكية» بدأت فكرة الحق تظهر فى هذه المجتمعات باعتباره امتيازا لفرد أو لطبقة.

وقد تجلت فكرة الحق بوضوح فى مجتمعات العبودية، حيث انقسم المجتمع إلى عبيد وأحرار.. وكانت الحقوق كلها للأحرار وخاصة حق الملكية وكذلك الحقوق المدنية والسياسية التى تتيح للأحرار الحق فى إدارة المجتمع، فى حين لم يكن هناك أية حقوق للعبيد، وإنما كان عليهم فقط خدمة السادة الأحرار مقابل إطعامهم وإيوائهم.

ومن أسف أن بعض فلاسفة ومفكرى هذا الزمان من أنصار الحقوق للأحرار فقط، أما طبقة العبيد فلا حقوق لهم، ومن هؤلاء «أرسطو» و«أفلاطون» بل إن الفيلسوف الرومانى «سيتكا» كان

ينظر إلى العبد كمجرد أداة لا يميزها عن الحيوان والجماد إلا أنها تنطق[1].

ويجب أن نشير هنا إلى أن مفكرى وفلاسفة نظرية «العقد الاجتماعى» من أمثال «هوبز» و «لوك» و«جان جاك روسو» كانوا من أنصار الحقوق للملك أو الحاكم فى مقابل أن يتنازل الناس عن بعض أو كل حقوقهم على أن يقوم الملك أو الحاكم بتوفير الحماية لهم. وذلك كله بهدف تكوين الدولة أو المجتمع، وقد أدى ذلك إلى طغيان الملك أو الحاكم واستبداده بالحكم فقامت تبعا لذلك النظم الدكتاتورية.

وكان رد الفعل على أفراد المجتمع الذين سلبت حقوقهم السياسية، بل والمدنية أيضا أن قامت الثورات مطالبة برد الحقوق إلى الناس فقامت الثورة الفرنسية مطالبة بحقوق الإخاء والحرية والمساواة، وغير ذلك من الحقوق المدنية والسياسية، وتبعها فى ذلك الثورات الكبرى فى أمريكا وروسيا وغيرها من الدول الأخرى.

ولكن يشير التاريخ الاجتماعى للبشرية أن ظهور النظام الرأسمالى فى مختلف البلدان قد أعاد الحقوق مرة أخرى، ولكن إلى من يملكون وسائل الإنتاج، وسلب الحقوق من طبقة العمال والفلاحين وغيرهم من عامة الناس.

---

(١) إبراهيم عامر وآخرون، موسوعة الهلال الاشتراكية، دار الهلال، ١٩٧٠، ص٢٠١.

ويدور الحوار الآن بين مختلف القوى فى العالم بكل أنواع وألوان الأسلحة المشروعة وغير المشروعة للحصول على أكبر قدر من الحقوق أو الامتيازات، واغتصابها من الطرف أو القوى الأخرى. ولم تجد القوى الضعيفة أو المغلوبة على أمرها إلا أن تطالب بحقوقها السياسية أو المدنية من خلال منظمات حقوق الإنسان التى انتشرت فى دول العالم للدفاع عن حقوق الإنسان فى مواجهة الدول الرأسمالية التى تملك المال والسلاح. والحقوق السياسية والمدنية وخاصة فى كل نظام عالمى أحادى الطرف، ونظام العولمة والجات، وكلها مصطلحات بدأت تظهر مع نهاية القرن التشرين لتؤكد تفوق وقوة الدول الرأسمالية أمام أية قوى أخرى فى العالم.

* الإعلان العالمى لحقوق الإنسان:

أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة الإعلان العالمى لحقوق الإنسان بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها وانتصار الولايات المتحدة الأمريكية وأنصارها من دول أوروبا. على اعتبار أن الاعتراف بكرامة بنى الإنسان المتأصلة وبحقوقهم الثابتة المتكافئة هو أساس الحرية والعدالة فى العالم. (وأن حماية حقوق الإنسان بحكم القانون أمر ضرورى، حتى لا يضطر الإنسان إذا سلبت حقوقه إلى الثورة على الظلم والطغيان وخاصة ما شاهده خلال الحروب العالمية الأولى والثانية وغيرها من حروب أخرى صغيرة أهدرت فيها حقوق الإنسان وساد الظلم والطغيان، مما دفع الدول الأعضاء فى الأمم

المتحدة أن تتعهد – من خلال هذا الإعلان – مع هيئة الأمم المتحدة وأن تتعاون معها على أن تكفل احترام حقوق الإنسان وحريته الأساسية احتراما عالميا وواقعيا. ولكن نلاحظ الآن مع بداية القرن الواحد والعشرين إهدارات كثيرة لحقوق الإنسان فى كثير من دول العالم فى مختلف قارات الدنيا وذلك كله لصالح النظام الرأسمالى وأصحابه من رجال الأعمال تجار المخدرات والسلاح.

وما يهمنا هنا فى هذا الإعلان العالمى لحقوق الإنسان أنه اعترف بعدد من الحقوق الإنسانية التى رأى أنها طبيعية وحق أصيل للإنسان أن يتمتع بها. ومن هذه الحقوق اختصارا = الحق فى الحياة والحرية والأمن الشخصى وحرية السفر والتنقل، والتملك سواء بمفرده أم مع آخرين، وحرية الفكر والتعبير والدين والعقيدة والعمل وحق الاشتراك فى حياة المجتمع الثقافية والاستمتاع بالفنون والمساهمة فى التقدم العلمى وما يجلب منافع، وحق التعليم ونوع التعليم).

وفى مجال الأسرة والطفولة اعتنى الإعلان ببعض الحقوق لهم ومنها ما جاء فى المادة ١٦:

(أ) للرجال والنساء الراشدين الحق فى الزواج وتكوين الأسرة، ولا تحول دون تمتعهم بهذا الحق قيود منشؤها السلالة أو الجنسية أو الدين، ويستوى الرجال والنساء فى الحقوق فيما يتصل بالزواج وبالحياة الزوجية وبالانفصال.

(ب) لا يتم الزواج إلا برضاء الطرفين رضاء حرا كاملا.

(جـ) الأسرة هى وحدة المجتمع الطبيعية الأساسية، ولها الحق فى أن يحميها المجتمع والدولة.

وفى المادة (٢٥) ب: للأمومة والطفولة حق الرعاية الخاصة، ولجميع الأطفال سواء أكانوا شرعيين أم غير شرعيين أن يتمتعوا على السواء بالحياة الاجتماعية.

وقد جاء فى الإعلان أنه لا يجوز تفسير نصوصه بشكل يتعارض مع مبادئ وأهداف الأمم المتحدة وكذلك القيام بأى عمل أو نشاط يقصد به القضاء على أى حق من الحقوق او اية حرية من الحريات المنصوص عليها فى هذا الإعلان.

ولكن للأسف الشديد أن تقوم الدول الكبرى وخاصة الدول التى لها حق الفيتو فى مجلس الأمن الدولى باعمال وتصرفات فى بعض المناطق فى العالم فيها إهدار لكثير من حقوق الإنسان التى وردت فى الإعلان، ولم تتخذ الأمم المتحدة حيالها أى إجراء أو عقاب.

* فى مسألة الحقوق والواجبات:

تنص كل الدساتير الحديثة على قائمة من الحقوق للمواطنين، حتى إن بعض هذه الدساتير يعطى حقوقا للأجانب المقيمين على أرض الدولة.

وفى مقابل هذه الحقوق تنص الدساتير أيضا على مجموعة من الواجبات التى يجب على أفراد المجتمع أدائها فى مقابل ما حصلوا عليه من حقوق.

وتصنف الحقوق التى تنص عليها الدساتير فى كتابات الباحثين إلى «حقوق سلبية» و«حقوق إيجابية».

أما الحقوق السلبية فهى التى يأتى النص عليها بأسلوب النفى أى بعدم جواز إخلال الدولة بها مثل: الحق فى المساواة، وحرية التعبير، وحرية العقيدة، وحرية الصحافة، والحق فى التجمع وسائر ما يعرف بحقوق الإنسان المدنية والسياسية، إلى جانب حق الملكية الخاصة، وحق المبادرة الخاصة فى الدساتير التى تنص عليها بهذه الصورة.

أما الحقوق الإيجابية فهى التى تنص الدساتير على توفيرها وليس فقط على عدم جواز الإخلال بها، وتتمثل هذه الحقوق عادة فى عدد من حقوق الإنسان الاجتماعية والاقتصادية والثقافة مثل: الحق فى العمل والتعليم، والصحة، التأمينات الاجتماعية، والإسكان، والبيئة النظيفة.. الخ[1].

ويجب أن نلاحظ أن بعض الدول التى تنص دساتيرها على مثل هذه الحقوق الإيجابية، لا تنظر إليها على أنها حقوق مطلقة

---

(١) د. إبراهيم شحاتة، وصيتى لبلادى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١، ص ٦٠.

للمواطنين، يجب عليها أداؤها أو تلبيتها لكل المواطنين، وإنما هى أهداف سامية تسعى الدولة إلى تحقيقها بقدر الإمكان وكلما توفر لها الإمكانات المادية والمالية لتوفيرها أو تحقيقها.

وفى مقابل الحقوق، نجد أن بعض الدساتير الحديثة تنص على مجموعة من واجبات الأفراد أيضا عليهم القيام بها فى مقابل ما يحصلون عليه من حقوق وخاصة فى دساتير الدول النامية مثل: الالتزام بحقوق الآخرين، احترام الدستور والقانون، الدفاع عن الوطن، دفع الضرائب، واحترام التراث الثقافى وحماية البيئة.. الخ[1] .

ولا يختلف الدستور المصرى والذى صدر فى عام ١٩٧١ عن دساتير الدول الأخرى إلا فى القليل وخاصة فيما ينص عليه من حقوق تتعلق بالشريعة الإسلامية ذلك الدستور ينص على أن مصر دولة إسلامية. ومن أهم الحقوق التى وردت فى الدستور المصرى ١٩٧١ وتتعلق بالأسرة والطفولة نذكر المادة (١١) والتى تنص على أن «واجب المرأة نحو الأسرة» والذى تكفل الدولة التوفيق بينه وبين عملها فى المجتمع. كما تشمل المادة (٩) حماية الأسرة.

وبمقارنة الدستور المصرى بالدساتير الحديثة الأخرى نجد أن ما يعيبه ليس قصورا فى مقدار الحقوق إلا بشأن غيبة أية نصوص

---

(١) المرجع السابق، ص ٦١.

حول البيئة النظيفة، وحقوق المصريين فى الخارج، وقصور النص بشأن حقوق الوالدين والأطفال[1].

** إعلان حقوق الطفل:

بعد أن ذاقت الإنسانية المعاصرة ويلات الحروب والفقر والجهل والمرض والجوع، قامت دول الحضارة المادية الغربية بمحاولة للبدء فى بناء الإنسان الجديد، وذلك من خلال الإعلان العالمى لحقوق الطفل والذى صدر فى العشرين من نوفمبر عام ١٩٥٩ وأقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة.

وفى مصر.. صدرت «وثيقة الطفل» باعتبار السنوات العشر من ١٩٩٠ – ٢٠٠٠ عقد حماية الطفل المصرى ورعايته. ثم صدرت الوثيقة الثانية للعقد الثانى للطفل ٢٠٠٠-٢٠١٠، كما أن مصر كانت من ضمن الدول الست الداعية إلى القمة العالمية للطفولة عام ١٩٩٠.

واستمرارا لجهود الدولة والمسئولين فى رعاية وحماية الطفل المصرى، قامت السيدة حرم رئيس الجمهورية بالكثير من الإجراءات التنفيذية والجهود والنشاطات لعل من أهمها:

«عيد الطفولة» فى شهر «نوفمبر» من كل عام، ومهرجان «القراءة للجميع» فى صيف كل عام، وإصدارات مكتبة الأسرة

---

(١) المرجع السابق، ص ص ٢٧١ – ٢٧٤.

على مدار العام، وإنشاء جمعية الرعاية المتكاملة للطفل، معرض الكتاب للطفل. ثم توجت كل هذه الجهود والنشاطات بإعلان تشكيل «المجلس القومى للطفولة والأمومة» وذلك فى إطار مؤسسى يحقق للطفل أفضل فرص الرعاية الاجتماعية والنفسية والتربوية والصحية التى تضمن له بداية سليمة لحياته، وتنشئة يسيرة على أساس من القيم والمبادئ السليمة التى تعمل على توفير بيئة صحية للطفل ومناخ صحى أيضا يحقق النمو السليم ويضمن له الحماية والرعاية المتكاملة لكى يتشكل المواطن الصالح الذى يفيد نفسه ويفيد المجتمع.

كان هذا على المستوى المحلى، أما على المستوى الدولى فقد قامت السيدة حرم رئيس الجمهورية بمجهودات من أجل انضمام مصر للاتفاقية الدولية لحقوق الطفل، وكذلك الحصول على عضوية اللجنة الدولية المشرفة على تنفيذ هذه الاتفاقية باعتبار مصر ممثلا للقارة الأفريقية والمنطقة العربية فى هذه اللجنة.

لقد قطعت مصر خطوات كبيرة ومدروسة من أجل رعاية الطفل وثقافته سواء داخل الأسرة أم خارجها فى المدرسة وزملاء االلعب، ويبدو ذلك من خلال اهتمام الدولة ممثلة فى القيادة السياسية، كما تبنت السيدة حرم الرئيس الكثير من المشروعات لرعاية الطفل وثقافته فى إطار مؤسسى ومن رؤية علمية وبهدف تنموى. وقد تكللت هذه الجهود بقدر كبير من النجاح فى الداخل، مما أدى إلى قيام منظمات عربية وإقليمية ودولية للاطلاع ودراسة

هذه المشروعات لنقلها والاقتداء بها. كما حدث فى الدورة الخاصة للأمم المتحدة والتى عقدت أوائل مايو ٢٠٠٢ تحت شعار «عالم جدير بالأطفال» وحضرها وفود ١٩٢ دولة منهم ٧٠ رئيس دولة وحكومة ووزراء والسيدات الأول، حيث شاركت السيدة سوزان مبارك وعرضت تجارب مصر المتعددة فى مجال رعاية الطفل وكفالة حقوقه.

ونظرا لأهمية مرحلة الطفولة فى حياة الإنسان، من حيث هى الفترة أو المرحلة التى تأتى بين بداية إدراك الطفل لذاته وحتى سن الرشد، أو هى الفترة أو المرحلة التى تسبق مرحلة البلوغ[1] فقد اهتم بها علماء النفس والاجتماع والأنثرولوجيا وأفاضوا فى طبيعتها وخصائصها كما تحدثوا أيضا عن حقوق الطفل وحمايته ورعايته وثقافته.

وقد تضمنت - قبل ذلك بكثير - أحاديث الرسول ﷺ حقوق الطفل ورعايته، واسترشد بها الصحابة والتابعون، فحق الطفل فى الطعام أو الغذاء قد نزلت به هذه الآية الكريمة:

﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ سورة الإنسان (الآية : ٨)

---

(1) Sperling, Abraham Psychology Made Simple. W.H. Allen. London, 1967. P 114.

فقد تفقد سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأسرة تشكو من الجوع الذى يهدد أطفالها، وفى جوانب أخرى أبانت أحاديث الرسول ﷺ حقوق الطفل منذ ولادته مرورا بتسميته والاحتفال به، ثم رضاعته، وتأديبه وتعليمه، والبر به والحنو عليه، وانتهاء بتأكيد العقاب عندما يعقل - أى يدرك - ويخطئ. وهو عقاب رقيق متدرج يبنى ولا يهدم[1].

وقد وضع الرسول الكريم ﷺ مبدأ هاما فى تربية الطفل والتعامل معه بقوله: لاطفه سبعا، وأدبه سبعا، وصادقه سبعا ثم أطلق له الحبل على الغارب بعد ذلك. ثم إنه طلب الرحمة من الآباء نحو الأبناء وتحقيق العدل بين الأخوة حتى فى الحب والتقبيل وبذلك وضع الرسول ﷺ دستورا فى تنشئة الطفل وإرساء حقوقه حتى ينشأ تنشئة سليمة.. ذلك لأن هذا الطفل هو رجل المستقبل الذى تبنى عليه الأمم تقدمها ونهضتها.

فالمستقبل يعنى به الطفل، ذلك لأن الطفل هو ذخيرة المجتمع التى يدفع بها الجيل الحاضر إلى الأجيال المقبلة ويتعهده بالرعاية والحماية ليكون عضوا صالحا ونافعا لنفسه ولمجتمعه.

---

(١) د. أحمد زلط، الطفولة والأمية، مرجع سابق، ص ٨٥.

٤ - القيم values

(أ) مفهوم القيمة:

القيمة هى فكرة يعتقد بها الإنسان ويعتنقها وتجعل منه إنسانا أو مواطنا صالحا متكيفا مع جماعته أو مجتمعه. ولذلك نطلق على مثل هذه القيم تعبير «القيم الاجتماعية» ذلك لأنها تنشأ من احتكاك الأفراد ببعضهم أو اتصالهم ببعض فى جماعة أو فى مجتمع.

وبعبارة أخرى.. القيم هى «الصفات الشخصية التى يفضلها أو يرغب فيها الناس فى ثقافة معينة»[١] ولهذا كانت القيم تتصل اتصالا مباشرا بثقافة المجتمع. فالعادات والتقاليد والأعراف تصنع القيم فى أى مجتمع، ومن هنا كانت القيم مكتسبة. «وكلما كانت القيم ذات عمق واضح، تم اكتسابها دون وعى، وتصبح من موجهات السلوك دون إحساس مشعور به»[٢].

ولما كانت القيم فى طبيعتها من موجهات السلوك، فهى أيضا لها صفة العمومية لجميع الأفراد داخل المجتمع أو الجماعة، حتى ولو فشل بعض الأفراد فى تحقيقها فى سلوكهم أو أفعالهم.

ومن طبيعة القيم أيضا أنها ملزمة أو لها صفة الإلزام الاجتماعى على كل أفراد المجتمع أو الجماعة. كما أنها أيضا يمكن اعتبارها

---

(١) د / محمد عاطف غيث . مقدمة فى علم الاجتماع . مرجع سابق . ١٣٧ .

(٢) المرجع السابق . ص ١٣٧ .

من عوامل التغير الاجتماعى والثقافى.. وذلك عندما يحدث تغير عام فى المجتمع نتيجة لعوامل أخرى، فإن القيم لابد أن تتغير لكى تتلاءم مع التغير الذى حدث فى المجتمع، فعلى سبيل المثال فإن التغير التكنولوجى الذى يحدث الآن فى المجتمع، لابد أن يؤدى فى نفس الوقت إلى تغير نسق القيم الموجود فى المجتمع أو حتى فى الجماعة.

ومن ناحية أخرى، فكما أن القيم من عوامل التغير الاجتماعى والثقافى، فقد تعوق القيم حدوث التغير «فكثيرا ما يدفع احترام الماضى وتقديس كبار السن إلى رفض التغير والوقوف فى وجهه ومقاومته بشتى الطرق»[1].

وكما أن القيم تساعد أو تعوق التغير، فهى أيضا تؤثر فى نفس الوقت فى نوع التغير الذى يحدث فى المجتمع. فاليونانيون القدماء مثلا كانوا خلاقين فى الأدب والفن والفلسفة، إلا إنهم كانوا متخلفين إلى حد كبير فى التكنولوجيا[2].

وهناك من يرى أن القيم ذات طابع محافظ وغير قابل للتغيير، ويرجع ذلك فى نظرهم إلى أن بعض القوى الاجتماعية فى المجتمع أو ما يمكن تسميته بجماعات المصالح أو الضغط ترى أن المحافظة على القيم كما هى دون تغيير هو فى نفس الوقت يعنى الحفاظ عليهم فى السلطة أو فى النفوذ، أو الحفاظ على مصالحهم.

---

(١) د / سناء الخولى. مدخل إلى علم الاجتماع. مرجع سابق. ص ٢٥٧.

(٢) المرجع السابق. ص ٢٧٥.

وكما أن القيم الاجتماعية قد يحدث لها التغير من الداخل فقد يحدث التغير فى القيم أيضا بتأثيرات خارجية وافدة إلى المجتمع من ثقافات أخرى طبقا لظاهرة الانتشار الثقافى والنقل الثقافى.

(ب) الطفل والقيم:

لما كانت القيم تتصل اتصالا مباشرا بثقافة المجتمع، أو أنها تقوم أو تستند على الثقافة السائدة فى المجتمع سواء أكانت الثقافة العامة للمجتمع أم الثقافة الفرعية، فإن الطفل يتقبل ثقافة مجتمعه من خلال عملية التنشئة الثقافية حيث تزود الثقافة الطفل بمجموعة من القيم لعل من أهمها: الشجاعة، الإيثار، التسامح، التعاون، القوة، المهارة الفنية، الصبر، الإحسان للآخرين، الكرم، إتقان العمل، عدم إهدار الوقت.. وغير ذلك من قيم اجتماعية إيجابية.

ولا يمنع ذلك أن يتعلم الطفل بعض القيم الاجتماعية السلبية سواء من جماعته أو مجتمعه داخليا أو من ثقافة أخرى وافدة من الخارج ولها من القوة بحيث تؤثر فى شخصية الطفل؛ من مشاهدة السينما أو التليفزيون وغير ذلك من وسائل الإعلام المرئية أو المسموعة أو المقروءة مثل: قيم الأنانية، الفردية، قيم الاستهلاك الترفى، التنافس، عدم الإتقان، عدم استخدام التكنولوجيا، السلبية، عدم التعاون أو الصراع.. وغير ذلك من قيم سلبية بدأت تغزو مجتمعنا فى السنوات الأخيرة من القرن العشرين.

وعلى ذلك فالتنشئة الثقافية تجعل الطفل يدرك ويعرف قيم مجتمعه، كما يعرف أيضا معايير السلوك المختلفة التى هى تعبير عن هذه القيم ويرى أنه عليه أن يلتزم بها فى سلوكه من حيث إن القيم ملزمة اجتماعيا للفرد.

ومن الجدير بالإشارة هنا أن عملية التنشئة الثقافية تتضمن تنمية وتدعيم أنماط السلوك المرغوبة أو الإيجابية، كما أنها أيضا وفى نفس الوقت تتضمن رفض أنماط السلوك السلبية أو غير المرغوب فيها لأنها قد لا تتلاءم أو تتماشى مع ثقافة الجماعة الفرعية أو الثقافة الكلية للمجتمع.

كما أن الطفل يتولد لديه إحساس أو مشاعر بأن الأنماط الإيجابية من السلوك هى الأفضل له لكى يتصرف أو يعمل طبقا لها لأنها - كما قلنا - تتفق مع ثقافة المجتمع.

فى كتابه بعنوان: ماذا حدث للمصريين؟ تطور المجتمع المصرى فى نصف قرن ١٩٤٥ - ١٩٩٥ يشير الدكتور جلال أمين إلى أن مصر قد تعرضت خلال الخمسين عاما الأخيرة من القرن العشرين إلى مجموعة من التغيرات فى القيم والسلوك، بسبب مجموعة من العوامل أو الأسباب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. حيث يرى أن هذه التغيرات تقوم على فكرة الحراك الاجتماعى "Social Mobility" [١] والتى أدت إلى صعود طبقات وشرائح

(١) د / جلال أمين. ماذا حدث للمصريين؟ الهيئة المصرية العامة للكتاب. ١٩٩٩، ص ٢٨.

اجتماعية إلى مستويات أعلى، وفى نفس الوقت هبوط طبقات وشرائح اجتماعية إلى مستوى أدنى، مما أدى إلى إحداث خلل أو تفكك فى البناء الطبقى الاجتماعى للمجتمع المصرى، وبالتالى فى قيم أفراد المجتمع وسلوكهم، وبصفة خاصة فى تغير مركز المرأة الذى أدى إلى ظهور قيم جديدة عندها منها قيمة العمل مما انعكس ذلك على تنشئة الأطفال اجتماعيا وثقافيا، بل ونفسيا أيضا.

كما ظهرت أيضا قيم الاستهلاك الترفى بسبب ظاهرة الانفتاح الاقتصادى مما أشاع قيم مادية تعلى من قيمة الكسب السريع على حساب العمل المنتج، ومن ضعف روح التعاون والتضامن الاجتماعى[1] كما انتشرت أيضا قيم الفردية أو الأنانية، وقيم الإسراف فى المظاهر الاجتماعية مثل أفراح الأنجال والسيارة الخاصة. وكذلك قيم التعصب الدينى والتفسير اللاعقلانى للدين.

إن انتشار وشيوع مثل هذه القيم السلبية فى المجتمع المصرى قد تؤثر فى عمليات التنشئة الاجتماعية والثقافية، بل والسياسية أيضا عند الأطفال من وجهتين: الوجهة الأولى هى تأثر الأطفال بهذه القيم السلبية من خلال مؤسسات التنشئة المختلفة. أما الوجهة الثانية فهى تأتى من خلال تكريس هذه المؤسسات وتعميقها لهذه القيم السلبية فى نفوس الأطفال سواء بوعى أو بدون وعى من

---

(١) المرجع السابق. ص ١٢

خلال ما تعرضه هذه المؤسسات من أسلوب التربية فى الأسرة، ونظام التعليم فى المدرسة، والبرامج والأفلام والمسلسلات والمسرحيات فى وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، وكذلك ما تقدمه الأندية والهيئات الثقافية من فكر ومواد ثقافية فى ندواتها ومحاضراتها، وقيم وسلوك أو تصرفات قادة الفكر والثقافة والزعماء السياسيين ونجوم الفن والرياضة وغيرهم. مما يؤدى ذلك كله إلى إحداث نوع من الخلل وعدم التوازن فى البناء الاجتماعى للمجتمع المصرى.

(جـ) مفهوم التقدم

قد يكون من المفيد أولا أن نتعرف على مفهوم «التقدم» progress وذلك بعد أن تعرفنا من قبل على مفهوم القيم حيث يشير كثير من الباحثين فى العلوم الاجتماعية والاقتصادية إلى أن التقدم كأداة اجتماعية تعنى انتقال أى مجتمع إنسانى من حالة أدنى إلى حالة أعلى أو أرقى فى كثير من جوانبه الاجتماعية والحضارية والثقافية والاقتصادية وغير ذلك من جوانب حياة المجتمع.

والتقدم قانون إنسانى، بمعنى أنه لا يوجد إلا فى مجتمع إنسانى، ذلك أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذى يمكن أن يتقدم أى يرتقى فى حياته من حالة أدنى إلى حالة أعلى.

وقد دعمت نظرية «دارون» فى التطور مفهوم التقدم، مع العلم أن «دارون» ومن على شاكلته كان يقصر التقدم فقط على

النواحى المادية فى الحياة والمجتمع. وأن التقدم من هذا النوع قد يحقق السعادة والحرية للإنسان. ولكن من استقراء التاريخ البشرى نجد أن مثل هذا التقدم المادى لم يحقق السعادة والحرية للإنسان بشكل كامل.

ولذلك عندما جاء الإسلام أضاف الجانب الروحى إلى الجانب المادى فى فكرة أو مفهوم التقدم. وعلى ذلك يرى كثير من المفكرين الإسلاميين أن التقدم فى الإسلام هو تقدم نفسى ومعنوى ومادى..

إلا أن بعض المفكرين الغربيين والمستشرقين يرون أن إضافة الجانب الروحى إلى فكرة التقدم بمفهومه المادى هو سبب تأخر المسلمين وتخلفهم، ولكن هذه دعوة تخفى وراءها أطماعًا سياسية واقتصادية حتى يسلم العرب قيادهم للغرب المتقدم ماديا. ولعل فكرة صراع الحضارات عند «هانتنجتون» خير مثال على ذلك، وكذلك دعوة بعض القادة والرؤساء الأوروبيين والأمريكيين، وخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر، تشير إلى أن الحضارة الغربية أرقى من الحضارة العربية الإسلامية.

(د) قيم جديدة أو قيم التقدم:

إن مثل هذه القيم السلبية. والتى انتقلت إلى الأطفال من خلال عمليات ومؤسسات التنشئة الاجتماعية والثقافية والسياسية أصبحت سمة من سمات وملامح الشخصية المصرية والتى انعكست

سلبا على سلوك وتصرفات الأطفال بصفة خاصة، وأفراد المجتمع الكبار بصفة عامة، مما دفع بعدد من المفكرين الجادين وعلماء الاجتماع والنفس وغيرهم إلى البحث عن قيم جديدة أو إعادة الاعتبار إلى القيم المصرية القديمة والأصيلة التى تساعد على التنشئة السليمة للطفل والمحافظة على أتزان شخصيته خاصة، والشخصية المصرية عامة، مما يؤدى إلى تماسك المجتمع والحفاظ على الضبط الاجتماعى للنظام الاجتماعى المصرى.

ومن هؤلاء المفكرين الجادين نشير إلى المفكر والكاتب «طارق حجى» وكتابه بعنوان: «قيم التقدم»

حيث يقدم لنا فى كتابه هذا مجموعة من أهم قيم التقدم نلخصها فيما يلى:

(أ) قيمة الوقت أو تقدير الوقت.

(ب) قيمة ثقافة النظم لا ثقافة الأشخاص ويفسر ذلك بأن «إيماننا المتأصل عبر التاريخ بدرس الفرد أكثر من إيماننا بفاعلية النظام (system) الذى يكون الفرد مجرد أداة من أدواته مع بقاء الغلبة والأهمية والفاعلية للنظام وليس للأفراد المتميزين فى النظام»[1] أى إن القيمة للنظام السائد وليس للأشخاص ذلك أن هؤلاء الأشخاص هم أدوات هذا النظام.

---

(١) طارق حجى. قيم التقدم، دار المعارف، ٢٠٠١، ص ص ٣١ – ٣٢.

(جـ) الإتقان ويعنى بها الجودة ويرى المؤلف أن فكرة الإتقان تحولت إلى علم قائم بذاته هو «علم إدارة الجودة» والإتقان أو الجودة تكون فى مرحلة التخطيط ثم مرحلة التنفيذ ثم المراجعة. وهو يرى أيضا أن ثقافة الإتقان ما هى إلا انعكاس لحقيقة كبرى؛ ألا وهى وجود حراك اجتماعى فعال فى المجتمع يبرز المتميزين من أفراد المجتمع[١] .

(د) قيمة التعددية.. ويعنى بها تعدد المشارب والمذاهب والثقافات والأذواق والآراء وأساليب الحياة. ويؤدى ذلك إلى توسيع ثقافة احترام الغير به other ness[٢] أى إن التعددية تؤدى إلى أن يحترم الفرد آراء أو توجهات الآخرين سواء السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية أو الفكرية. وهذا ينطبق على مقولة: احترام الرأى والرأى الآخر.

(هـ) قيمة نقد الذات والتجويد المستمر.. وذلك أن النقد كما يرى المؤلف من أهم وأكبر أدوات البناء. فالنقد حق لكل ذى عقل، ومن مجموع العقول الناقدة يتشكل النجاح والتميز[٣] وهو ما يؤدى فى النهاية إلى أن يقوم الفرد بصفة مستمرة بتجويد عمله.

---

(١) المرجع السابق. ص ص ٤١ – ٤٢.

(٢) المرجع السابق. ص ٤٦

(٣) المرجع السابق. ص ٤٨.

(و) قيمة الإيمان بعالمية المعرفة.. فالعلم والمعرفة ليس لهما حدود عملا بقول الرسول ﷺ (اطلبوا العلم ولو فى الصين).

إن القيم الست السابقة هى من «قيم التقدم» بوجه عام، أى من القيم التى ينبغى أن تغرس فى المناخ الثقافى والتعليمى العام حتى تكون البيئة مهيأة لحركة المجتمع إلى التقدم المنشود، فإن القيم الست هى أيضا من ركائز «قيم العمل الحديث» أو من قيم التقدم الإدارى[1].

فالمؤلف طارق حجى بحكم عمله الإدارى يرى أن القيم الست السابقة هى مقدمة أو ديباجة لقيمة سابقة هى «قيمة العمل الحديث» أو ما أسماها أيضا «قيم التقدم الإدارى» فكل هذه القيم فى نظره تؤدى إلى التقدم فى العمل الإدارى.

وعندما يشير المؤلف إلى أن قيم التقدم ينبغى أن تغرس فى المناخ الثقافى والتعليمى العام، فإنما يرى أن التنشئة الاجتماعية والتنشئة الثقافية هى البيئة المناسبة لغرس هذه القيم وتنميتها أولا فى نفوس الأطفال حتى تأتى هذه القيم عميقة ومتأصلة فى النفوس منذ النشأة الأولى للأطفال ويمكن أن تبقى معهم وتنمو وتتطور من خلال مراحل النمو ومن خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية والتنشئة الثقافية. كما أنه يرى أن هذه القيم تنتمى إلى الإنسانية

---

(١) المرجع السابق. ص ٥٥

أو لمسيرة تمدين الإنسان على الأرض أكثر من انتمائها لأية حضارة معينة. فهذه المسيرة هى التى شكلت قيم التقدم وجعلتها أكبر من أن تكون «وليدة حضارة معينة»[1]. إن التقدم والتحضر والتمدين وسائل لا تحققها الأموال ولا تبلغها الثروات الطبيعية. وإنما تحققها منظومة القيم الذائعة والشائعة فى المجتمع من قاعدته إلى قمته[2].

وأخيرا نقول.. إن الاضطراب السائد حاليا فى النسق الاجتماعى للقيم سواء عند الأطفال أو الكبار وسواء أكان هذا النسق لقيم سلبية أو لقيم إيجابية، فإنه يفرض علينا جميعا مسئولية تضامنية اجتماعية، فالكل مسئول عن بلورة قيم اجتماعية إيجابية جديدة أو إعادة الاعتبار لقيم قديمة اندثرت أو كادت بفعل أو بتأثير عوامل مختلفة داخلية أو خارجية. هذه القيم الاجتماعية الإيجابية تساعدنا جميعا على الحفاظ على اتزان نظامنا الاجتماعى وتماسكه وعدم تعرضه للتفكك أو الانهيار. وذلك مثل قيم الإيثار، والتضامن، والتعاون، ومشاركة الآخر فى أفراحه وأحزانه، واحترام الرأى الآخر، والتسامح وعدم التعصب، وعدم الزج بالدين فى مسائل سياسية أو فيما يسمى الآن بالعنف والإرهاب، وجعل الدين علاقة حميمة بين الإنسان وربه، ورفض قيم الأنانية والانتهازية ونبذ الآخر، والتواكل، والإسراف أو

---

(١) المرجع السابق. ص ٧٧.

(٢) المرجع السابق. ص ٢١.

التبذير، والديموقراطية كقيمة سياسية واجتماعية كأسلوب حكم ونظام حياة.

كل هذه القيم الإيجابية وغيرها، تغرس فى الأطفال من خلال عملية التنشئة الاجتماعية والثقافية، وهى فى نفس الوقت قد تساعدنا فى تجاوز بعض مشاكلنا وأزماتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وإمكانية وضع الحلول لمثل هذه المشاكل التى قد تعوق تقدم المجتمع ونهضته من ناحية، وتساعد على تمايز سمات أو ملامح الشخصية المصرية من ناحية أخرى.

إن التنشئة الاجتماعية تعمل على تكوين الذات الاجتماعية لدى الطفل، والتنشئة الثقافية تعين أو تحدد الأساليب والطرق التى يتبعها الوالدان فى تنشئة الأطفال. والتنشئة السياسية تمنح الطفل حرية الفكر والتعبير والاختيار، والحقوق تضمن للطفل حقه فى تنشئة سليمة وصحية من كل النواحى الجسمية والعقلية والنفسية وغيرها، والقيم توجه سلوك الطفل وتصرفاته، وإذا كنا نريد طفلا يسلك ويتصرف بشكل صحيح وسليم، فإننا - كمجتمع - يجب أن نوفر له ونغرس فيه كل القيم الإيجابية التى تساعده على أن يكون سويا ومواطنا صالحا. فشخصية الطفل بصفة خاصة، والفرد بصفة عامة هما المظهر الذاتى لثقافة المجتمع، دون أن نغفل العوامل الوراثية التى تتفاعل مع السمات الثقافية فتشكل فى النهاية الشخصية العامة التى تحمل الطابع القومى العام لثقافة المجتمع.

ومن الأمور أو التوجهات السليمة والإيجابية والتى يجب على الأسرة أن تقوم بها - وبصفة خاصة الأم - لتساعد طفلها على أن يحيا طفولته ويستمتع بها دون مشاكل أن تكون قدوة له وأن تشعره دائما بأنها محل ثقته وأن يثق كثيرا فى رأيها من خلال ما تقوم به من تصرفات وسلوكيات سليمة تتفق وقيم الأسرة والمجتمع، وأن تشجع الأم أيضا طفلها على اللعب كلما كان ذلك ممكنا لأنه يساعد الطفل على تفريغ طاقاته ونشاطاته بما يعود عليه بالفائدة. كذلك يجب على الأم أن تكون بجانب طفلها أطول فترة ممكنة وأن تساعده بقدر الإمكان فى واجباته المدرسية لأن ذلك قد يمنع الطفل من الوقوع فى الانحراف أو الجنوح. وعلى الأم أيضا أن تساعد طفلها فى اختيار أصدقائه حتى لا يقع فريسة لأصدقاء السوء، وأخيرا على الأم أن تساعد طفلها فى إبراز مواهبه كلما رأت امتيازه فى موهبة ما حتى تجعل منه طفلا متميزا، وشخصا متميزا فى المستقبل.

٥ - رؤية مستقبلية:

كنا فيما تقدم نتكلم كثيرا عن الماضى والحاضر.. ولكن ماذا عن المستقبل؟!..

إن ما حدث فى مصر من تغيرات وتطورات خلال العقود الخمسة الأخيرة من القرن العشرين فى كافة النواحى الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية يمكن فى رأينا أن نرجعه إلى:

● قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وما أحدثته من تغيرات متعددة الجوانب.

● هزيمة يونيو ١٩٦٧ وما أحدثته من شروخ وتحللات فى جدار النظام وبنائه اجتماعيا ونفسيا وسياسيا وثقافيا.

● حرب أكتوبر ١٩٧٣ وما أحدثته من آثار وانعكاسات سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية بل وعسكرية أو أمنية.

● سياسة الانفتاح الاقتصادى والتحول من الاشتراكية إلى نظام السوق الحرة أو النظام الرأسمالى وتأثيرات هذه السياسة على البناء الاجتماعى للمجتمع المصرى.

هذه العوامل الأربعة السابقة أدت إلى مجموعة من التغيرات فى كافة نواحى الحياة الاجتماعية بالسلب فى كثير من الأحيان وخاصة فى مجال الأسرة وغيرها من مؤسسات التنشئة الاجتماعية والثقافية حيث تغيرت القيم القديمة التى ورثناها من عهود سابقة. وكانت تميز الشخصية المصرية عن غيرها من شخصيات المجتمعات والثقافات الأخرى حيث حافظت هذه القيم النبيلة على اتزان الشخصية المصرية وبالتالى انعكس ذلك على اتزان وتماسك المجتمع. ويرجع الفضل فى ذلك إلى أسلوب التنشئة الاجتماعية والثقافية الذى كانت تتبعه الأسرة ومؤسسات التنشئة الأخرى.

ولما وقعت التغيرات الأخيرة بفعل العوامل الأربعة السابقة اندثرت بعض القيم الاجتماعية الإيجابية النبيلة، وظهرت قيم جديدة

معظمها سلبى وتتناسب مع النظام الاجتماعى الجديد الذى يعتمد الرأسمالية أساسا اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وثقافيا له. وظهرت فى حياتنا تعبيرات جديدة مثل العولمة والجات والنظام أحادى الجانب. كما ظهرت قيم وسلوكيات غريبة على مجتمعنا تقوم على العنف والإرهاب والبلطجة.

وفى وسط هذا الخضم الهائل من التغيرات والسلبيات اهتزت حقوق الطفل وتغيرت قيمه بتأثير أساليب التنشئة الاجتماعية والثقافية بل والسياسية أيضا الخاطئة وغير السليمة.

ومن هنا فإننا نرى بنظرة متفائلة عن المستقبل أن يقوم المجتمع بكل فئاته وشرائحه وطبقاته الاجتماعية بعملية «إعادة التنشئة الاجتماعية والثقافية Resocialigation» وتقوم على محاور وهى فى مجملها ودون الدخول فى تفاصيل صغيرة:

(أ) توعية الأسرة وخاصة الوالدين بأساليب سليمة للتنشئة الاجتماعية والثقافية للأطفال وغرس قيم الأصالة النبيلة فى تراثنا الثقافى العربى الإسلامى. ويمكن أن يكون للمجلس القومى للمرأة دور فى هذا المجال.

(ب) نظام تعليمى يعتمد على حرية التفكير وإطلاق العنان لملكات الطفل فى مختلف مراحل تعليمه للإبداع والتفوق على أسس من مناهج تقوم على قياس الفهم لدى الطفل وليس قياس الحفظ والترديد والابتعاد عن حشو المعلومات أو المواد الدراسية وإنما

الاهتمام بالكيف وليس بالكم مع إعطاء فرصة لإظهار المواهب والتفوق الذاتى من خلال النشاط المدرسى، بحيث تصبح المدرسة مكانا للتربية والتعليم، وليس للتعليم فقط. وهذا يتطلب مراجعة المحاور الأربعة الرئيسية فى العملية التعليمية والتربوية وهى: التلميذ والمعلم والمنهج والمكان (وهو المدرسة). وفى هذا المجال يمكن أن نجد دورا هاما للمجلس القومى للطفولة والأمومة وكذلك مركز البحوث التربوية.

(جـ) ميثاق شرف لكل وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة مكتوب أو غير مكتوب أن تراعى فى كل موادها الإعلامية قيم المجتمع المصرى الأصيلة التى تتلاءم مع التراث الثقافى العربى الإسلامى، وأن تبتعد بقدر الإمكان عن المواد الإعلامية التى تدعو إلى العنف والجنس والمخدرات وغير ذلك من مواد إعلامية. ذلك لأن الطفل لديه قابلية للاستهواء والتقليد لكل ما يراه أو يسمعه أو يقرؤه. وفى هذا المجال يمكن لمجلس أمناء اتحاد الإذاعة والتليفزيون بما يضم من شخصيات عامة محترمة أن يضع الإطار العام لهذه المواد الإعلامية المحترمة والتى تحترم تراثنا الثقافى والاجتماعى.

(د) اعتماد الديموقراطية بركيزتيها الحرية والشورى أسلوب حكم وأسلوب حياة بحيث يمارس الشعب أو الأغلبية ضبطا سياسيا يسمح لهم بممارسة الديموقراطية فى اختيار ممثليهم وأن يكون لهم دور فى حكم وطنهم من خلال مشاركتهم فى صنع القرار

السياسى وخاصة أمام صناديق الانتخاب. أما كونها أسلوب حياة فهى تتكون من مجموعة من الأفكار والاتجاهات تحرك وتوجه سلوك أعضاء المجتمع كل واحد نحو الآخر. ليس فقط فى شئونهم السياسية، ولكن أيضا فى علاقاتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وذلك نحو الأفضل دائما.

فالديموقراطية كأسلوب حياة تجعل كل فرد يعتقد أن لديه فرصا متساوية للمشاركة بحرية كاملة فى قيم المجتمع وتحقيقه لأهدافه العليا فى أى مجال من مجالات الحياة الاجتماعية. وعلى ذلك يمكن القول بأن مبدأ الديموقراطية كأسلوب حياة لا يمكن أن يتأصل وينتشر فى المجتمع إلا إذا بدأ مع التنشئة الاجتماعية والثقافية للفرد، وقامت به الأسرة ثم دعمته المدرسة والجامعة ووسائل التنشئة الاجتماعية والثقافية الأخرى حتى يستقر فى نفوس الافراد، ويصبح فى الحقيقة أسلوبا لحياتهم الاجتماعية.. الفردية والجماعية.

(هـ) يجب أن يكون هناك دورٌ لقادة الفكر والثقافة وكذلك للزعماء السياسيين بحيث يكونون قدوة أو أسوة حسنة فى سلوكهم وتصرفاتهم حتى يمكن للطفل أن يحتذى بهم، وأن يكون لهم دور أيضا فى ابتكار أو إبداع القيم الاجتماعية النبيلة الإيجابية التى يمكن للطفل أن يأخذ بها لأنها صادرة عن هؤلاء القادة الذين يحبهم الطفل ويعجب بهم فيقلدهم ويحتذى بهم. وفى هذا الصدد

يمكن أن يسهم المجلس الأعلى للثقافة بدور هام وكذلك الأحزاب السياسية بما يقدمونه من فكر وسلوك يحتذى به من قِبَل الأطفال.

هذه رؤية للمستقبل.. وللإصلاح من أجل إعداد وتنشئة جيل جديد على أساس استمرارية عملية التنشئة الاجتماعية والثقافية من خلال مؤسساتها المتعددة أو لإعادة عملية التنشئة الاجتماعية والثقافية على أساس القيم والتقاليد الأصيلة لمجتمعنا التى كدنا أن نفقدها فى زحمة مشاكلنا المتعددة. وبذلك يمكن لمصر أن تحقق المعادلة الصعبة فى مسألة: الأصالة والمعاصرة.

المهم أن نبدأ فى التغيير والإصلاح بحساب ونية صادقة. وبأن نتعلم من تجاربنا السابقة وتجارب الآخرين ونحن قد دخلنا القرن الحادى والعشرين.. فطريق الألف ميل يبدأ بخطوة.. وهذه الخطوة كما ذكرنا سابقا هى: عملية إعادة التنشئة الاجتماعية والثقافية.

الفصل الخامس

الطفل بين التنشئة والتربية

١ - تمهيد.

٢ - التنشئة والتربية.

٣ - طبيعة عملية التربية.

٤ - مؤسسات التربية.

٥ - بعض مشاكل الطفولة.

(أ) شنطة المدرسة والمقررات الدراسية.

(ب) التدليل.

(جـ) الكراهية.

(د) الانحراف.

(هـ) العنف.

٦ - الطفل والصحة النفسية.

٧ - الطفل والتربية الحديثة.

(أ) معنى التربية الحديثة.

(ب) أهداف التربية الحديثة.

(جـ) أسس أو مبادئ التربية الحديثة.

٨ - خاتمة: التسرب المدرسى.

الطفل بين التنشئة والتربية

١ - تمهيد :

قبل أن ندخل فى تفاصيل هذا الفصل يجب أن نشير إلى أنه قد استقر الآن فى يقين كثير من علماء الاجتماع والنفس والتربية أن هناك فرقا بين عملية التنشئة وعملية التربية، أو على الأقل كل علم من هذه العلوم ينظر إلى عملية إعداد الطفل لمواجهة الحياة نظرة تختلف عن الآخر كليا أو جزئيا، أو يطلق على هذه العملية اسما أو اصطلاحا يختلف عن الآخر ويعبر عن نظرة العلم نفسه إلى عملية إعداد الطفل للحياة.

لذلك يمكننا أن نعتبر أن هناك فروقا بين عملية التنشئة بجانبيها.. الاجتماعى «التنشئة الاجتماعية» والثقافى «التنشئة الثقافية» وبين عملية التربية. وسوف توضح ذلك ما يلى:

٢ - التنشئة والتربية:

عرفنا من قبل، ومن خلال الفصول السابقة، أن عملية التنشئة لها جانبان الأول هو: التنشئة الاجتماعية، وهى العملية التى تقوم بالعمل على تكوين الذات الاجتماعية للطفل، أى تحويله من كائن بيولوجى إلى كائن اجتماعى. أما الجانب الثانى فهو: التنشئة

الثقافيـة، وهـى العمليـة التـى تقـوم بغـرس أو تزويـد الطفـل بثقافـة المجتمـع الـذى ينتمـى إليـه مـن عـادات وتقـاليد وقيـم ومعايـير ولغـة ودين وغير ذلك مـن عنـاصر ثقافـة المجتمـع، أى إنـها تصبـغ الإنسـان بصبغة التحضر أو التمدين.. أى تجعل منه إنسانا متحضرا.

وكل مـن التنشـئة الاجتماعيـة والثقافيـة مـن طبيعتـهما أنـهما يستنـدان إلى عملية التفاعل الاجتماعى التى تتـم بـين الفـرد وغـيره من أفراد ومؤسسات التنشئة الاجتماعية والثقافية.

ويختص علم الاجتماع – وقد يشاركه علم النفس أحيانا – فى دراسة عملية التنشـئة الاجتماعيـة، أمـا التنشـئة الثقافيـة فيختـص بدراستها علم الاجتماع الثقافى. وأحيانا يطلق علـم النفـس العـام أو علم النفس الاجتماعى علـى عمليـة التنشـئة الاجتماعيـة اصطـلاح «التطبيـع الاجتمـاعى» كمـا فعـل ذلـك الأسـتاذ الدكتـور / أحمـد عزت راجح فى كتابه الشهير الموسوعى «أصول علم النفس».

هذا توضيح أو استرجاع موجز لمفهوم أو تعريف لعمليتى التنشـئة الاجتماعية والثقافية والتى عرضنا لهما فى الفصول السابقة.

أما تعريف التربية Education، فهو يختلف بـاختلاف وجهـة نظـر البـاحث، أو بـاختلاف ميـدان المعرفـة الـذى تخصـص فيــه البــاحث. فالتربية بالنسبة لطالب علم البيولوجيـا هـى إلى حـد كبـير: عبـارة عـن عمليـة تكيـف الفـرد وملاءمتـه للبيئـة التـى يعيـش فيـها. أمـا بالنسبة لعالم النفس، فالتربية مرادفة للتعلم. وبالنسـبة للفيلسـوف،

وخاصة المربى، مثل سقراط وأفلاطون وأرسطو والغزالى، فإن التربية تعكس مدرسة الفكر التى يتبعها. فالتربية مثلا عند سقراط قد تعنى الفضيلة، وعند أفلاطون تعنى المثالية، وعند أرسطو تعنى الواقعية، وعند الغزالى فالدين هو محور عملية تربية الطفل.

كذلك تختلف تعاريف التربية بين المحافظين والتقدميين، فالمحافظون ينظرون إلى التربية باعتبارها عملية حماية تقوم بها الدولة للمحافظة على الأمن والاستقرار والضبط القانونى والاجتماعى للمجتمع. والتربية عند التقدميين هى عبارة عن التعبير عن الذات التى تساعد الفرد على العمل بشكل أفضل مما كان يقوم به.. أى القيام بالعمل أو النشاط بطريقة أفضل مما هو عليه. وعلى ذلك.. فهى عملية ديناميكية متحركة إلى الأمام، وإلى الأفضل، أكثر منها أمر ساكن واستاتيكى.

ومنذ نشأة الأسرة أو العائلة، كانت التربية تعنى التنشئة أى تنشئة الطفل من كل النواحى الجسمية والصحية والنفسية والعقلية والخلقية والاجتماعية.. أى إعداد الطفل إعدادًا كاملاً وتاما من كل النواحى لمواجهة مختلف المواقف الحياتية والمعيشية. أى إن الأسرة كانت تقوم بكل الوظائف إزاء أفرادها.. سواء الإنجاب أو توفير المأكل والمشرب والتعليم بكل أنواعه الدينى والخلقى والقراءة والكتابة، وتوفير الأمن والحماية بل وأيضًا الترفيه والتسلية وشغل أوقات الفراغ.

ومن الجدير بالذكر هنا أن نشير إلى وظيفة الأسرة كما ذكرها «وليم أوجبرن Ogburn» فى كتابه عن العائلة الأمريكية، حيث حدد هذه الوظائف فى سبع هى:

الوظيفة العاطفية، الوظيفة الاقتصادية، الوظيفة التربوية، وظيفة الحماية، الوظيفة الترويحية، وظيفة المكانة العائلية والوظيفة الدينية[1].

ولما تقدم الإنسان فى التاريخ البشرى تقلصت وظائف الأسرة، حيث انتقلت بعض هذه الوظائف إلى مؤسسات أو منظمات حكومية وغير حكومية، ولعل من أهم الوظائف التى استقلت عن الأسرة هى الوظيفة التربوية ويقصد بها هنا، التعليم والتعليم، حيث كان من الضرورى استقلال هذه الوظيفة عن الأسرة وذلك بسبب نشأة المدرسة التى كان من أهم وظائفها تعليم الطفل.

واصطلاح المدرسة فى الاشتقاق اللغوى عند اليونان القديمة يعنى «الفراغ»[2].

ومنذ نشأة المدرسة وانتقال الطفل إليها للتعليم والتعليم أصبح هناك نوعان من التعليم.. الأول هو التعليم الشكلى أو الرسمى وهو الذى يتلقاه الطفل فى المدرسة والثانى هو التعليم غير الشكلى أو غير

---

(١) د. على محمد شلتوت. مرجع سابق. ص ١٩٦.

(٢) د. صالح عبد العزيز. مرجع سابق. ص ٤٧.

الرسمى وهو الذى يتم خارج المدرسة فى مؤسسات أخرى غير المدرسة.

والتعليم الرسمى عند بعض المربين خير مكان له هو المدرسة. فالدولة تنشىء المدارس وتضع المناهج، وتعد المدرسين لكى يقوموا بعملية مقصودة وهى «تربية التلاميذ» ليكونوا مواطنين صالحين، وفقًا للمناهج التى تحتوى على مواد مدرسية تدرس بطريقة معينة فى جو تعليمى وأخلاقى ودينى معين، يخرج منه المواطنون بشكل يؤدون معه ما يطلبه المجتمع منهم. وهنا يظهر فعلاً أن المدرسة هى نظام مباشر مقصود[1].

أما التعليم غير الرسمى فهو يتم من مجرد المعيشة وسط الجماعة، كما أنه يأتى من ظروف تكوين المجتمع والنظم الاجتماعية فيه، مثل: النظام العائلى والدينى والاقتصادى والسياسى والترفيهى.. وكذلك نتعلم عن طريق المؤسسات التى تخدم هذه النظم الاجتماعية كالمسجد والمستشفى والمحكمة ووسائل الإعلام التى هى وسيلة جماهيرية فى التربية والتعليم. وهى تعلم قطاعات من المجتمع فاتتها فرصة التعليم فى المدارس ويمكن أن نضيف إلى ما سبق المعارض والمكتبات[2]. ونشير هنا بصفة خاصة إلى مشروع «القراءة للجميع» والذى يتم عن طريق تشجيع الأطفال

---

(١) د. على محمد شلتوت، مرجع سابق. ص ٢٥١.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٥٠.

وحفزهم إلى الذهاب والتردد على المكتبات لزيادة حصولهم على المعلومات والمعارف والتى تساعدهم بعد ذلك على سهولة التحصيل المعرفى بالمدارس، والتى يمكن أن تحقق لهم فرص التقدم والتفوق فى مدارسهم على أقرانهم الآخرين الذى لم يرتادوا المكتبات.

وهنا نقطة جديرة بالإشارة والملاحظة، وهى ظاهرة انتشار الدروس الخصوصية والتى أصبحت تشكل عبئًا ماليًا تعليميًا على الأسرة حيث إن الأسرة أصبحت الآن، ومن فرط حرصها على مستقبل أبنائها، تشارك المدرسة فى عملية التربية والتى هى فى جوهرها عملية تعليم الطفل. حيث تتابع الأسرة الطفل فى عمله ونشاطه سواء فى المدرسة أم فى الدروس الخصوصية، فهى تساعد الطفل فى شرح دروسه أحيانا أو حل الواجبات المدرسية أو واجبات المدرس الخصوصى، مما أدى إلى زيادة العبء على كاهل الأسرة فى كل شىء.

لذلك نجد البعض يرى أن المنزل أو الأسرة يمكن اعتبارها من مؤسسات التربية المباشرة. والأسرة بذلك يعود إليها إحدى الوظائف التى فقدتها فترة طويلة من الزمن وهى الوظيفة التربوية. هذا فى حين يرى البعض الآخر أن المنزل أو الأسرة لا تشبه المدرسة تمامًا، وإنما هى تختلف عن المدرسة، فالتربية فى الأسرة تأتى بطريقة غير مباشرة أو غير مقصودة فرضتها ظروف معينة يمر بها المجتمع قد تختفى أو تزول هذه الظروف وتعود الوظيفة التربوية بكاملها إلى

المدرسة، وتحرر الأسرة من ذلك العبء الذى يثقل كاهلها حتى الآن ماليا بل ونفسيا أيضا. حيث تعيش الاسرة فى حالة نفسية متوترة وخاصة أثناء الامتحانات حتى تظهر نتائجها.

مما تقدم يتضح لنا ان عملية التربية - ونقصد بها عملية التعليم والتعلم داخل جدران المدرسة أو ما شابهها من معاهد التعليم والتعلم - هى عملية مستمرة. إنها ليست تراكم مجموعة من المعلومات والمعارف، ولكنها الوسائل الذهنية وأساليب التفكير.. وفوق كل شىء.. هى الميل أو الاستعداد لاكتساب المعرفة. ومن خلال التعليم والتعلم. والنهل منها مدى الحياة.

٣ طبيعة عملية التربية:

التربية - كعملية تعليم وتعلم هى فى طبيعتها عملية نمو، ذلك أن المجتمع يمكنه أن يحدد مصيره. وأن يقرر مستقبله من خلال اختيار نوع التربية التى يقدمها للصغار الناشئين أو الاطفال فى المدرسة.

ولما كان من المفروض او من المتوقع أن يتولى هؤلاء الصغار او الاطفال تقاليد أمور مجتمعهم عندما يشبون عن الطوق ويكبرون. فإن طبيعة هذا المجتمع واتجاهاته وفلسفته تتوقف الى حد كبير على نوع التوجيه والإرشاد الذى يخضع له هؤلاء الأطفال فى أثناء نموهم وتطورهم.

وهذه الحركة أو هذا النشاط الدينامى المتصلة حلقاته، والذى يهدف إلى نتائج يؤثر بعضها على البعض الآخر أو يترتب بعضها على البعض الآخر هى ما نسميه: بعملية النمو Growth.

ويؤكد علم نفس الطفل الآن أن النمو ليس شيئا يمنح للأطفال، أو يحدث لهم بمجرد ولادتهم، بل إنه شىء يتم عن طريق سلسلة متصلة من النشاط المستمر الدينامى يشمل كل أعضائهم الجسمانية، وقدراتهم العقلية والاجتماعية.

وقد يفسر بعض الخبراء أو العلماء عملية التربية على أنها عملية اكتساب العادات أو المهارات أو الخبرات التى تؤدى إلى التكيف أو الاندماج الصحيح بين الفرد والبيئة. وهذا التكيف هو أساس النمو.

والتربية كنمو تشمل أو تتضمن تحديد أنواع النمو المقصود أو المرغوب فيه، وأنواع النمو غير المرغوب فيه، أو الذى يمكن تحاشيه.

ويؤكد كلٌّ من جون ديوى J. Dewey و وليم كلياتريك W.Kalpatrik وغيرهما من قادة التربية الحديثة أن الحياة عبارة عن نمو، وأن النمو أو النضج هو الحياة، ومن ثم فإن العملية التربوية ليس لها هدف إلا النمو ذاته. كما أن النمو عبارة عن عملية تنظيم الخبرة وإعادة تنظيمها، وإنشاء الخبرة وإعادة تغييرها.

وفكرة إن التربية عملية نمو.. هى فكرة حديثة، وتقوم على الدراسات النفسية والاجتماعية التى تعتبر أن الطفل يولد وهو مزود

بنشاط ذاتى، كما أنه أيضًا متصل بالعالم الخارجى وبالمجتمع، وذلك من خلال أنه ولد فى أسرة أو عائلة منظمة تنظيمًا معينًا، لكل فرد أو عضو فيها مركز اجتماعى معين، ولكل دور اجتماعى (وظيفة) أنماط معينة من السلوك. وهى التى تعتبرها خبرات منظمة بواسطة الثقافة والمجتمع، لكى يمر بها الأفراد، فإذا مر بها الأفراد ومارسوها، واكتسبوا المزيد منها فهذا الذى نسميه (النمو). أى إن الأفراد اكتسبوا نموا.. يتمثل فى التربية أى فى التعليم والتعلم، وفى حدوث تغير فى شخصية الفرد.. ربما إلى ما هو أفضل[1].

ولذلك.. يمكن القول إن النمو السليم أو الصحيح يستمد اتجاهاته وأهدافه من نوع الحياة التى يرغب فى تنظيمها، ومن ثم فإن معنى التربية ووظيفتها باعتبارها عملية اجتماعية، لا يمكن تحديده أو ضبطه إلا فى ضوء المجتمع الذى نسعى إلى تنظيمه وتحقيقه.

وعملية التربية تستند أيضا إلى عملية التفاعل الاجتماعى شأنها فى ذلك شأن عملية التنشئة. وإذا كانت التنشئة عملية شاملة، فإن التربية عملية خاصة بالتعليم والتعلم داخل المدرسة وذلك فى المفهوم الحديث للتربية.

---

(١) د. على محمد شلتوت. مرجع سابق. ص ٢٤٠ – ٢٤١.

٤ - مؤسسات التربية:

يحلو للبعض أن يطلق عليها مصطلح وسائط التربيـة أى الواسـطة التـى مـن خلالها تتـم أو تنتقـل عمليـة التربيـة وهـذه المؤسسـات أو الوسائط تنقسم إلى قسمين هما:

(أ) المؤسسات أو الوسائط المباشرة.

(ب) المؤسسات أو الوسائط غير المباشرة.

والفرق بين المؤسسات المباشرة وغير المباشـرة يكون فـى أن الأولى مقصودة. وتـأتى عـن طريـق موقـف تربـوى أو تعليمـى معـين. أمـا الثانية فهى غير مقصودة وتكون أيضا تلقائية كما أن الأولى تكـون بين طرفين فالتفاعل مزدوج. أما الثانية فغالبا ما يكون التفاعل من طرف واحد فقط.

ففى المدرسة - وهى من المؤسسات المباشـرة - تكـون المناقشـة بـين طرفين هما المعلم والتلاميذ. وتسمى مثل هذه المناقشات.. مناقشات الوجه للوجه أو مناقشـات المواجهة. فـى حـين أن التليفزيـون مثـلاً وهو مـن المؤسسات غير المباشـرة - يكـون التفـاعل دائمـا مـن طـرف واحد.

ولذلـك تسـمى مؤسسـات التربيـة المباشـرة أو المقصـودة مؤسسـات التفاعل الإيجابى الكـامل Positive interaction أمـا مؤسسـات التربيـة غـير المباشـرة. أو غـير المقصـودة فتسـمى مؤسسـات التفـاعل السـلبى الجزئـى Passive interaction وبتعبـير اخـر.. تسـمى الأولى المؤسسـات

ذات التفاعل المزدوج، والثانية تسمى مجموعة المؤسسات ذات التفاعل المفرد. وذلك على أساس أن التفاعل المزدوج (فى الاولى) يتم بتفاعل علاقات متبادلة بين طرفى التفاعل (وهما المعلم والتلميذ) فى صورة المناقشة والحوار. بينما التفاعل المفرد (فى الثانية) يكون موجها من أحد الطرفين دون اشتراك الطرف الآخر[1].

ومن أمثلة مؤسسات التربية غير المباشرة نذكر هنا وسائل الإعلام مثل التليفزيون والراديو والسينما والصحافة والمكتبات والمعارض والأندية ودور العبادة والمسرح.

ومن أمثلة مؤسسات التربية المباشرة نذكر أهمها وهى المدرسة School. فالمدرسة هى وسيلة التربية، أو هى المؤسسة التى يحقق النظام التربوى فيها أهدافه أو أغراضه.

فالدولة تقوم ببناء المدارس وتضع المناهج وتعد المعلمين ليقوموا بعملية مقصودة ألا وهى تربية التلاميذ أى تعليمهم ليكونوا مواطنين صالحين، طبقا للمناهج التى تحتوى على مواد دراسية تدرس بطريقة معينة من خلال ما يسمى فى علوم التربية «طرق التدريس الخاصة» حيث لكل مادة طريقة تدريس خاصة بها.

والمدرسة لها دور هام فى الربط بين المؤسسات التربوية المباشرة وغير المباشرة، وذلك لأن قيم المجتمع وخاصة القيم السامية منها

---

(١) د. على محمد شلتوت. مرجع سابق. ص ١٧٣ - ١٧٤

تقوم المدرسة بغرسها فى نفوس التلاميذ أو الأطفال. كذلك تقوم المدرسة باستخدام بعض المؤسسات التربوية غير المباشرة فى العملية التعليمية مثل الراديو والتليفزيون والفيديو والإنترنت والمشروع الجديد التى تعد له وزارة التربية والتعليم تحت اسم: «الحكومة الإلكترونية».

وظيفة المدرسة:

المدرسة هى المؤسسة التربوية أو التعليمية التى تقوم بتحقيق غرض التربية، والمدرسة لا تختلف فى وظيفتها عن وظيفة التربية.

ونستطيع أن نوجز وظيفة المدرسة وبالتالى وظيفة التربية فى النقاط الرئيسية التالية:

(أ) المدرسة هى الأداة أو الوسيلة التى تعمل مع الأسرة على تربية الطفل. فالأسرة لا يمكنها أن تقوم بعملية التربية بمفردها، ذلك لأن عملية التربية أى تعليم الطفل هى عملية متخصصة تحتاج إلى معلمين أو مربيين متخصصين، أيضًا لهم خبرة ومعرفة بطبيعة الطفل وما يحتاج إليه، وأيضا مكان مناسب وأدوات ومعلومات أو مناهج، وجو يحفز الطفل إلى العمل والنشاط والرغبة فى التعليم. وفى المدرسة أيضا تتاح الفرصة للقدرات العقلية والطبيعية للطفل لكى تظهر وتنمو. وبذلك يحدث نوع من تكافؤ الفرص بين التلاميذ لإظهار كل ما لديهم من قدرات ومواهب مختلفة للنمو والتقدم والتفوق والإبداع.

(ب) نقل التراث الاجتماعى.. فالمدرسة تقوم من خلال عملية التربية أو التعليم بنقل تراث المجتمع أى ثقافته وحضارته من خلال مجموعة من المعارف والمعلومات التى تحتويها المواد الدراسية. وبذلك فالمدرسة تضمن للمجتمع الحفاظ على تراثه الثقافى والحضارى واستمراره على مر الأجيال والأزمان والأماكن. وذلك كله بفضل عملية القراءة والكتابة التى يتعلمها الطفل فى المدرسة.

(جـ) تبسيط الثقافة والحضارة.. فالمدرسة تقوم بتبسيط ثقافة المجتمع وحضارته المركبة أو المعقدة وتلقنها للطفل بالتدريج، ذلك أن الطفل لا يمكن تلقى هذه المعارف أو المعلومات دفعة واحدة لعدم اكتمال نموه ونضجه العقلى، لذلك يتنقل الطفل من خلال المراحل التعليمية الابتدائية والإعدادية والثانوية وفى كل مرحلة يتلقى المواد الدراسية التى تتناسب مع عمره وذكائه وقدراته العقلية.

(د) تطهير ثقافة المجتمع وحضارته من كل الشوائب أو الخرافات التى لحقت بها خلال تطور المجتمع، وأن تربى الطفل على معرفة الحقائق والفضائل والعمل بها، حتى إذا خرج الطفل إلى الحياة الاجتماعية بعد المدرسة استطاع أن يرتقى بمجتمعه من خلال تمسكه بالحقائق العلمية السليمة، والفضائل والقيم السامية التى تؤدى إلى تحسين حياة الجماعة المستقبلية.

(هـ) تحقق المدرسة التوازن بين عناصر البيئة الاجتماعية، وتتيح الفرصة لكل فرد أن يتحرر من قيود الجماعة التى نشأ فيها. فالمدرسة تحاول إيجاد نوع من التقارب بين اختلاف مشارب وأخلاق وقيم التلاميذ الذين جاءوا من بيئات مختلفة، وخلق قيم ومعايير جديدة مشتركة توحد بين تلاميذها وطرق تفكيرهم وتوجهاتهم السياسية والدينية.

تلك هى وظائف المدرسة الرئيسية، وقد تشارك المدرسة أسرة التلميذ فى بعض وظائفها. ولكن هناك اختلاف بين تربية المدرسة وتربية الأسرة أو المنزل من حيث نفوذها فى الأطفال ومعاملتها لهم وأثرها فى تهذيب أخلاقهم وتكوين عاداتهم.

- فسيطرة المعلم أقل من سيطرة الوالدين فى كثير من الأحيان ذلك لأن الطفل دائما فى حاجة إلى والديه أكثر من احتياجه إلى معلمه.
- العدل والمساواة هما شعار المدرسة دائما حيث لا فرق بين تلميذ وآخر وعلى أساس أن الثواب والعقاب واحد على كل التلاميذ. ولكن فى المنزل قد يختلف الأمر حيث يمكن للوالدين التغاضى عن بعض مخالفات الأبناء، بل إن بعض الآباء يميلون إلى بعض الأبناء بسبب مركز الطفل فى الأسرة إذا كان ولدا بين عدة بنات أو العكس أو آخر العنقود أو البكر أو الوحيد.
- المدرسة تعلن نظامها ولوائحها من أول يوم فى الدراسة وعلى جميع التلاميذ الامتثال لذلك ومن يخالفها يوقع عليه العقاب

بصرف النظر عن أى اعتبار. أما الأسرة فقد يأخذها الرحمة والحب بأبنائها فلا توقع أى عقاب على أى مخالف لنظام ولوائح الأسرة.

يتصرف التلميذ فى المدرسة بشىء من التكلف أو التحوف فى السلوك والتصرفات. أما فى الاسرة فانه يتصرف بكل حرية ولا يتكلف وربما لا يخاف.

● وأخيرا تسمح المدرسة بنوع من الفرص أكبر من الاسرة لإظهار المواهب فى المواقف التربوية أو التعليمية للأطفال.

وهكذا فإنه يمكن القول بأن المدرسة مجتمع صغير. أو هى جزء من المجتمع الكبير أو المحلى يمارس فيه الأطفال كل ما يفيدهم عقليًا وجسميًا وصحيا واجتماعيا. وبالتالى يفيدون المجتمع الذى ينتمون إليه ويعيشون فيه.

ويبقى لدينا هنا نقطة هامة يجدر بنا الإشارة إليها ونصوغها كما يلى:

إن العملية التربوية أو التعليمية لها أربعة محاور أو أربعة أركان هى: تلميذ، ومعلم، ومنهج، ومكان أو مدرسة، وتؤدى العملية التعليمية دورها بكفاءة من خلال تكامل هذه المحاور أو الأركان الأربعة، وأى خلل أو ضعف أو قصور فى أى محور أو ركن يؤدى بالتالى إلى خلل أو قصور فى كامل العملية التعليمية. وفى رأيى أن

الخلل أو القصور الذى حدث فى العملية التعليمية راجع إلى المعلم أولا. فقصور المعلم أو الخلل الذى أصابه سواء من الناحية المادية أو التكوين المؤهلى أو الأكاديمى جعله أو دفعه - غصبًا أو رضاء - إلى عدم القيام بواجبه أو وظيفته على أكمل وجه، ومن هنا ظهرت ظاهرة الدروس الخصوصية.. وذلك لأن التلميذ من أجل التعليم وتحصيل دروسه لجأ إلى المعلم فى مكان آخر أو مدرسة أخرى.. وهى هنا الدروس الخصوصية. هذا رأيى.. وقد أكون غير مصيب فيه وقد أكون مصيبًا وهنا يجب على كل من يهمه الأمر دراسة الأمر بشىء من الموضوعية بعيدًا عن الانفعال الذاتى أو الشخصى.

٥ - بعض مشاكل الطفولة:

من المعروف أن السنوات الأُوَل من حياة الطفل، تعتبر من أهم مراحل حياته، وذلك لما لها من تأثير كبير فى توجيه حياة الإنسان بعد ذلك.

والأسرة والمدرسة من مؤسسات التنشئة والتربية التى يتأثر بهما، وتؤثران بالتالى فى شخصيته. وخاصة من خلال المعاملة التى يعامله بها والداه ومدرسوه، وقد تؤدى هذه المعاملة إلى بعض المشاكل الطفولية، وخاصة إذا كانت هذه المعاملة تتسم بالشدة والقسوة. ومن هنا يتعرض الطفل لبعض المشاكل سواء من الأسرة وأفرادها أم من المدرسة ومدرسيها وتلاميذها. وسوف نذكر هنا بعضًا من هذه المشاكل.

(أ) شنطة المدرسة والمقررات الدراسية:

من الملاحظ الآن أن الطفل عندما يبدأ فى الانتقال من مجتمع الأسرة إلى مجتمع المدرسة تبدأ معه المشاكل المدرسية ومن أهمها حمل شنطة المدرسة المحملة بالكتب والأقلام والكراسات وأدوات المدرسة الأخرى و(السندويتشات) والزمزمية على ظهره الصغير مما قد يسبب له آلاما فى ظهره بل واعوجاجا فى عموده الفقرى، ومن الغريب أن الكتب والكراسات التى يحملها الطفل قد لا تكون مطلوبة فى ذلك اليوم، فهو يحمل كل الكتب فى كل الأيام سواء كان فى حاجة إليها فى هذا اليوم أم فى غير حاجة إليها.

وقد توجد هذه المشكلة فى مدارس رياض الأطفال أو فى مدارس المرحلة الابتدائية.

ثم إنه فى مدارس رياض الأطفال، نجد ظاهرة غريبة وملفتة للنظر، وهى أن المدرسات يقمن بتعليم الأطفال وهم فى سن الرابعة أو الخامسة مبادئ القراءة والكتاب والحساب ثم يكلفونهم أيضا بواجبات منزلية كتابة وحفظًا. وهذا ما يتنافى مع مبادئ أصول التربية للأطفال فى مثل هذه السن. وذلك ما يؤدى إلى استنفاذ وقت الطفل بعد العودة من المدرسة، حيث لا يجد وقتا للعب سواء مع إخوته فى المنزل أم مع أقرانه من الجيران. ومن نتيجة ذلك فالأطفال فى رياض الأطفال فى مصر لا يستمتعون بوقتهم سواء فى المدرسة من خلال التعلم باللعب والنشاط، أم فى المنزل من خلال

اللعب والنشاط مع أخوته أو أقرانه من الجيران. وهذا ما قد يؤثر على الصحة النفسية والمزاجية للطفل بالسلب.

لذلك، من هنا نطالب المسئولين والتربويين بإعادة النظر في المنهج المدرسى لرياض الأطفال وكذلك فى مشكلة الشنطة، حتى نخفف العبء عن كاهل الطفل وندعه يستمتع بطفولته.

(ب) التدليل Fondness (pet)

فى الأسرة. من الأخطاء الهامة التى قد يقع فيها كثير من الوالدين سواء عن علم أو جهل، وسواء عن قصد أو غير قصد، مسألة تدليل الأطفال والإفراط فى حبهم والتلهف عليهم والإسراع فى كل الأحوال لتلبية طلباتهم والعناية بأمورهم عناية مسرفة. فإذا بكى الطفل انزعجت الأسرة وأسرعت تهرول إليه تسأله عما ألم به، ماذا يريد؟ وإذا أشار إلى شىء أسرعت تحضره إليه فى لهفة. وإذا امتنع عن الطعام انزعج الوالدان لذلك. إلى غير ذلك من السلوكيات والتصرفات التى تجعل الطفل يشعر بتدليل كبير.

وإذا نشأ الطفل فى مثل هذا الجو الذى يحيطه بكل حب ورعاية وانتباه والذى يقضى له جميع حاجاته وكل مطالبه سواء المشروعة أم غير المشروعة، وأيضًا يحل له كل مشاكله. فإن الطفل يعتاد على ذلك ويتوقع أن الجميع فى أى مكان سوف يعاملونه بنفس الطريقة.

فمثلاً.. عندما يدخل الطفل المدرسة لأول مرة يتوقع أن يعامله المعلم وزملاؤه بنفس الأسلوب من المعاملة التى يعامله به والده

ووالدته وأخوته. بل وحتى أقاربه. وعندما لا يحصل منهم على (التدليل) قد ينزعج ويتذمر ويبدأ فى الشعور بعدم الثقة فى نفسه وبأن مركزه فى المدرسة قد بدأ فى الاهتزاز وانه الآن فى عالم أو مجتمع مختلف عن مجتمع أو عالم الاسرة. حيث لا يجد الطفل فى المدرسة التدليل والاهتمام والرعاية الكافية التى كان يلقاها فى أسرته. فيبدأ الخوف وعدم الثقة يسيطران عليه. وقد يستجيب الطفل لهذا الموقف المؤلم استجابات مختلفة. منها شعور بالغضب أو أحاسيس أو نوبات من الخوف والقلق النفسى وعدم الثقة فى النفس، وكذلك حالات من الشرود الذهنى وأحلام اليقظة.. وقد تشتد استجاباته حتى تصل إلى حالة من التلعثم ،و اضطراب الكلام او التبول اللاإرادى فى الفراش.. ثم ينتهى الامر بالسرقة.. سواء سرقة زملائه فى المدرسة أو أخواته فى الأسرة.

وقد يؤدى ذلك إلى أمور غير مستحبة أو غير مرضية عندما يكبر الطفل ويدخل إلى مجال الحياة العملية. فقد يفشل فى عمله. بل ويهرب منه ومن تحمل مسئوليات هذا العمل حتى ينتهى الامر به إلى إدمان المخدرات والخمر ولعب القمار وقد يتصور أن ذلك هو ملجؤه أو مهربه من متاعب الحياة ومشاكلها ومسئولياتها[1].

---

(١) مقتبس من مجلة همزة الوصل التى تصدرها مديرية التكوين والتربية خارج المدرسة بالجزائر. العدد الثانى فى ١٩٧٣. ص ٧٢-٧٣

(جـ) الكراهية: Hate

من المشاعر الأليمة التى يعانى منها الطفل فى تنشئته بين أفراد أسرته، وتربيته وتعليمه فى مدرسته وبين زملائه من تلاميذ مدرسته شعوره أو إحساسه بأنه مكروه من أفراد أسرته أو منبوذ من زملائه التلاميذ فى المدرسة لأى سبب من الأسباب وقد يكون هو المتسبب أو الآخرون هم المتسببين فيها، وإذا سيطرت هذه المشاعر أو الأحاسيس على الطفل انهارت معنوياته وتصدعت شخصيته وصار فريسة لعدد كبير من الآلام النفسية ثم اضطراب الشخصية، وقد ينتهى به الأمر إلى الإصابة بالعقد النفسية.

ويرى بعض المربين فى مجال الطفولة أن الطفل الذى ينشأ فى أسرة تهمله ولا تهتم بأمره وتشتد فى معاملتها له، قد ينشأ وهو يشعر بكراهية المجتمع له وعدم الاهتمام بأمره وقد يشتد هذا الشعور بالكراهية خاصة – لسوء حظه – إذا صادف نفس هذه المعاملة فى مدرسته من أساتذته وزملائه. إن مثل هذا الطفل قد يتولد فى نفسه شعور الحقد والكراهية ، ليس فقط تجاه أسرته ومدرسته وإنما قد يمتد ذلك ويشمل الناس كلها فى المجتمع ودائمًا يتوجس الإحساس بالكراهية من كل فرد قد يتعامل معه، وهنا قد تثور فى نفسه دوافع الانتقام والتمرد والخروج عن النظام والقانون.. وقد ينتهى به الأمر إلى الجريمة أو على الأقل الجنوح او الانحراف.

وقد تتولد الكراهية فى نفس الطفل من شدة حب الوالدين وحرصهم على الطفل، فيأتى الحب بعكس ما يريد الوالدان. وقد يكون الأب أو الأم مشغولاً فى عمله حيث لا يجد الوقت الكافى الذى يقضيه مع أطفاله فى جو أسرى مرح يشعر الطفل بصداقة الوالد أو الوالدة له. وقد تتولد الكراهية أيضًا من جفاء الأب أو الأم فى معاملة الطفل وخاصة عندما يعود أحدهما من عمله وهو فى حالة ضجر أو تعب من عمله ولا يتحمل عبث طفله وشقاوته فينهره وقد يضربه لأسباب تافهة. وقد تكفى هذه المعاملة الجافة القاسية التى لا مبرر لها لكى يشعر الطفل ويدرك أنه مكروه وغير مرغوب فيه.. فتتولد فى نفسه جميع مشاعر الذلة والهوان على النفس.

وقد تتولد الكراهية أيضًا فى نفس الطفل من عدم رغبة الوالدين أحدهما أو كليهما فى الإنجاب، فيفاجئان بوجوده، فيقابلانه بفتور وعدم اهتمام، مما يؤثر فى نفسية الطفل ويجعله يشعر بأنه مكروه من أهله غير مرغوب فيه. وقد يحدث الأمر أيضا عندما يكون الوالدان يريدان ولدًا فتأتى البنت أو بنتا فيأتى الولد.. فيخيب أملهما ويقابلان المولود بشىء من الفتور وعدم الاهتمام.

وقد تتولد الكراهية أيضًا فى نفس الطفل من كثرة تأنيب الوالدين للطفل وتوبيخهم وعقابهم على أتفه الأمور، وكذلك عند المقارنة بين طفلهم وغيره من الأطفال وإظهار طفلهم بأنه دائمًا الطفل الشقى أو غير المطيع، مما قد يؤدى بالطفل إلى الإحساس بوجود عيب أو نقص فيه، فتتولد لديه الآلام أو الاضطرابات

النفسية والتى قد تنتهى - كما ذكرنا سابقا - إلى العقد النفسية، وهى إحساس الطفل بعقدة الكراهية أى إنه مكروه دائما من الآخرين.

(د) الانحراف: Delinquency

الانحراف أو جنوح الأحداث فى اللغة يعنى كل خروج عن المألوف. والانحراف ظاهرة اجتماعية وأيضا مشكلة اجتماعية، للنتائج السيئة التى تترتب عليه. وهو دائمًا ما يظهر عند الأطفال دون الخامسة عشرة.

وفى المعنى القانونى للانحراف هو الخروج عن القانون. أى قوانين المجتمع.

وفى المعنى الاجتماعى يعنى الانحراف كل سلوك غير سوى أو شاذ ويخرج عن التشريعات الاجتماعية من عادات وتقاليد وأعراف وقيم ومثل عليا. أو هو كل سلوك لا يخضع للقانون ولكن يعاقب عليه العقل الجمعى للمجتمع.

ولما كان الانحراف أو الجنوح يظهر عند الأطفال دون الخامسة عشرة. فعلى ذلك هو مشكلة من مشاكل الطفولة.

ولذلك فقد تعود أسبابه إلى عوامل ذاتية أو شخصية أى إلى الطفل نفسه نتيجة عوامل وراثية أو التعرض لحوادث معينة أو الإصابة بأمراض عضوية أو حتى نفسية وعقلية تؤثر بالسلب على الطفل وتجعله يأتى بتصرفات منحرفة أى خارجة عن القوانين الاجتماعية والتشريعية.

وقد تعود أسباب الانحراف إلى عوامل موضوعية أو بيئية من أهمها التفكك الأسرى نتيجة التوترات بين الزوجين أو هجر أو انفصال أحد الوالدين عن الآخر، ثم الطلاق.

كذلك قد يرجع الانحراف إلى نقص رعاية الوالدين للطفل وإهمالهم فى تنشئته وتربيته سواء فى الأسرة أم فى المدرسة. وقد يعود الانحراف أيضا إلى ضعف المستوى الاقتصادى للأسرة، مما قد يدفع الطفل إلى الحصول على حاجاته ومتطلباته الضرورية خارج الأسرة أو المدرسة. كذلك قد يعود الانحراف إلى المعاملة السيئة التى قد يلقاها الطفل فى مدرسته سواء من معلميه أو زملائه. وإحساسه بالكراهية ونبذهم له وعدم الاهتمام به.

ويرتبط بمشكلة أو ظاهرة الانحراف، ظاهرة أخرى هى ظاهرة أطفال الشوارع. وهم هؤلاء الأطفال الذين يلجئون إلى الشارع هربا من البيت بسبب التفكك الأسرى أو انفصال الوالدين بحيث لم يعد للطفل بيت لأسرته يلجأ إليه. أو هربا من المدرسة بسبب إحساسه بأن كل من فى المدرسة يكرهونه ولا يهتمون به ولا يلبون حاجاته الضرورية ومتطلباته.

وقد عرفت الأمم المتحدة أطفال الشوارع بأنهم: «أى ولد أو بنت أصبح الشارع بمعناه الواسع مكان إقامتهم ومصدر معيشتهم، وهم الذين ينقصهم الحماية والإشراف والتوجيه الكافى بواسطة أشخاص كبار مسئولين عنهم». وأطفال الشوارع فى كل الاحوال ينحدرون تحت ثلاثة أنماط من العلاقات الاسرية:

● أطفال لهم علاقة بأسرهم ويعودون يوميًا للمبيت لديهم.

● أطفال اتصالهم ضعيف بأسرهم ويذهبون إليهم بين الحين والحين.

● أطفال ليس لهم علاقة بأسرهم إما لفقدانهم بالموت أو بالطلاق أو لهجر أسرهم[1].

إن مشكلة الانحراف أو جنوح الأطفال من مشاكل الطفولة الخطيرة التى تعتبر وصمة عار فى جبين المجتمع حيث تؤدى إلى فقدان المجتمع لقوة عاملة منتجة أو قادرة على الإنتاج مستقبلاً بعد إعدادها وتنشئتها وتربيتها مدرسيا أو تعليميًا.

إن الأطفال المنحرفين إلى جانب كونهم قوة عمل أو إنتاج مهدرة أو معطلة، فهم أيضًا يعبرون عن مظهر حضارى مهين وغير شريف، ثم هم معمل تفريخ للجريمة والمجرمين. كما أنهم – وعندما يكبرون – يصبحون هدفا أو صيدًا سهلاً لجماعات الإرهاب واستقطابهم وتحويلهم إلى إرهابيين يحملون السلاح والقتل فى مواجهة مجتمعهم بل وأسرهم.

---

(١) محمد سيد فهمى. أطفال الشوارع. مأساة حضارية فى الألفية الثالثة. المكتبة الجامعية. ٢٠٠٢، ص ٣١-٣٣.

(هـ) العنف : Voilence

يرى بعض الباحثين أنه قد يصعب تعريف (العنف) تعريفا جامعًا مانعًا، وذلك لاختلاف نظرة الباحثين إليه حسب تخصص كل باحث.

وهناك تعريف التزمت به هيئة الإذاعة البريطانية فى إحدى دراساتها.. حيث عرفت العنف بأنه صورة من التفاعل الإنسانى تؤدى إلى الأذى الذى يصيب الجسد أو النفس أو كليهما، ويسبب ضررا قد يؤدى إلى القتل ويكون موجها للإنسان، أو الحيوان، أو الممتلكات سواء كان ذلك عمدًا أو مصادفة[١].

ويعنى ذلك أن العنف هو استخدام الشدة أو القسوة بالضرب فى مواجهة الآخرين بقصد إيذائهم، سواء كان ذلك العنف مشروعا (الشرطة مثلاً فى حفظ الآمن والنظام) أم غير مشروع (استخدام الضرب بالأيدى أو بآلات حادة بقصد السرقة مثلا) وهناك من يرى أنه يوجد نوع من العنف يتوسط بين المشروعية وغير المشروعية وذلك حين يستخدم الأب مثلا حقه المشروع فى تاديب ابنه، فيصبح عنفه إساءة لاستخدام حقه المشروع وبالتالى يكون ليس مشروعا[٢]. وقياسًا على ما سبق يمكن اعتبار تعدى المعلم فى تأديب الطفل بالمدرسة وتجاوز حدود التأديب بالضرب الشديد أو المبرح سواء

---

(١) د. عاطف عدلى العبد. مرجع سابق. ص ٦٤

(٢) المرجع السابق. ص ٦٦

بالعصا أم بأى أداة أخرى نوعا من العنف البدنى الذى يقع على الأطفال. حتى استخدام التأديب الحاد بالكلام (وتذنيب) الطفل داخل الفصل برفع الذراعين إلى أعلى أو بالركوع على الركبتين أو بتهديده بوضعه فى حجرة العقاب. كل ذلك نوع من العنف ضد الطفل سواء أكان مشروعًا أم غير مشروع أم وسطا بين المشروعية وغير المشروعية يؤثر فى شخصية الطفل بالسلب وفى صحته النفسية بالانطواء أو العزوف عن الجماعة والمجتمع، ثم كراهية الآخرين.. الآباء والأخوة والمعلمين.. وأخيرًا بالجنوح أو الانحراف وترك البيت والمدرسة واللجوء إلى الشارع متسولا أو متشردا ثم مجرما أو إرهابيا.

ولا يقتصر العنف ضد الأطفال على الإهانة بالكلام واللفظ وهو ما يسمى بالعنف الشفوى. أو الإيذاء بالضرب وهو ما يعرف باسم العنف البدنى، وإنما تجاوز الأمر الآن إلى تعرض الأطفال فيما يعرف عند أطباء الصحة النفسية باسم (العنف الجنسى) والذى يبدأ بالتحرش الجنسى بالطفل من قبل أفراد يعرفون الطفل أو لهم علاقة بأسرته أو من أفراد يقومون برعاية الطفل سواء فى الأسرة أو فى المدرسة، والذى قد ينتهى هذا التحرش الجنسى بالاعتداء الجنسى الفعلى على الطفل. ومن صور هذا العنف الجنسى على الطفل، ما يحدث للأطفال المنحرفين أو ما أطلقنا عليهم أطفال الشوارع بينهم وبين بعضهم أو بينهم وبين الكبار الذين (يسرحونهم) فى الشوارع ومن صوره أيضا ما يحدث فى مؤسسات

رعاية الأحداث بين الأطفال وبعضهم، أو بينهم وبين القائمين على هذه المؤسسات.

وهنا لابد من انتباه الوالدين بل وأفراد الأسرة كلها إلى ظهور أية علامات غير طبيعية على الطفل من انطواء أو عدم الميل للعب أو عدم مشاركة الأسرة فى المواقف الترفيهية أو الترويحية سواء داخل المنزل أم خارجه. أو كثرة مصاحبته لشخص كبير فى الخروج بدعوة الذهاب للترويح أو السينما أو النادى أو المباريات الرياضية.

ولذلك نرى أنه يجب تعليم الأطفال سواء فى الأسرة أم فى المدرسة (الثقافة الجنسية) بالقدر الذى يسمح للطفل بمعرفة وإدراك ما قد يحدث له من الآخرين بدافع التحرش الجنسى أو العنف الجنسى.

هذا عن العنف الذى يقع على الطفل. أما العنف الذى يقع من الطفل نفسه تجاه الآخرين، فقد يحدث فى الأسرة أو فى المدرسة بسبب سوء معاملة الطفل والقسوة عليه من أفراد أسرته أو من زملائه فى المدرسة أو من المعلمين فيقوم الطفل برد فعل عكسى لما وقع عليه من عنف برد الإساءة بسلوك عنيف ضد أخوته أو زملائه أو حتى ضد الأشياء بإتلافها وإفسادها. كما أن وسائل الإعلام وخاصة التليفزيون والفيديو والسينما لها دور كبير فى تغذية مشاعر الطفل بالسلوك العنيف من خلال ما يشاهده من أفلام

العنف والجريمة، حيث يحاول تقليد ما يشاهده فى هذه الأفلام أو المسلسلات.

٦ - الطفل والصحة النفسية: Health/mental

من الأمور المثيرة واللافتة للنظر أن التعبير الاجتماعى الشامل والمتلاحق والذى بدأ تقريبا مع بداية القرن العشرين قد أحدث أثرا عميقا على شخصية الإنسان مما أثر بالتالى على حالته الصحية وحالته النفسية وهو ما نطلق عليه اصطلاح (الصحة النفسية).

فالحروب العالمية الأولى والثانية، والحروب الإقليمية المحدودة والصراعات والخلافات بين الدول وبعضها والانقلابات العسكرية والثورة الصناعية والتقدم التكنولوجى الذى ترتب عليها، والصراعات الثقافية والإيديولوجية المختلفة بين دول العالم وانقسام العالم إلى إيديولوجيتين ثم أيديولوجية واحدة الآن تحاول أن تسيطر على العالم أرضا (بكل ما فيها) وبشرا (بكل ما يملكون) وتخضعهم لها وتسيرهم كيف تشاء. كل ذلك، وغيره، أدى إلى عدم قدرة الإنسان على استيعاب كل هذه التغيرات السريعة والمتلاحقة مما أحدث فجوة بين هذه التغيرات وقدرات الإنسان بحيث لم يعد فى استطاعته مسايرتها بالقدر اللازم فوقع الإنسان فريسة للضغوط الاقتصادية والاجتماعية والنفسية مما أصاب كثيرا من الناس - بل والدول الصغيرة أيضا باعتلال الصحة النفسية لديهم.

وهذا هو نتاج الحضارة الغربية الحديثة والتى يصفها كثير من علماء النفس الحديث والاجتماع والسياسة بأنها حضارة تشعر بالعزلة والعجز وقلة الحيلة فى عالم عدوانى يغشاه ويحيط به من كل جانب.. فقد شجعت هذه الحضارة التنافس المسعور بين الناس، وأضعفت الصلة بين العامل وصاحب العمل، وأوهنت روابط الأسرة وزلزلت أركان الإيمان، وجعلت كل إنسان يعيش لنفسه. فهى فى جملتها حضارة مادة وهوس وسرعة وتوتر وضجيج. حضارة قضت على القيم فى المدرسة والتعليم.. وهل هناك أكثر من أن يذهب تلميذ المرحلة الابتدائية إلى مدرسته بالمسدس الذى يطلقه على زملائه ومعلميه. نعم هى حضارة تقدم مادى وتكنولوجى، ولكنها حضارة اعتلال الصحة النفسية، واختلال الصحة الخلقية وذيوع الاضطرابات الخلقية النفسية والجريمة والانتحار والمخدرات والطلاق والدعوة إلى العنف والحرب بالحق والباطل[1].

فى الأسرة وفى المدرسة وخاصة رياض الأطفال والمرحلة الابتدائية نجد أن من أهم مقومات الصحة النفسية هى أن يمارس الطفل منذ ميلاده مع والدته (بصفة خاصة لأنها الأكثر قربا منه) علاقة حب وود خالص ومستمر، دون أن يعترض هذه العلاقة أيه شوائب أو غيوم تعكر من الصفو بينهما.

---

(١) د. أحمد عزت راجح. مرجع سابق. ص ٥٩٥ - ٥٩٦..

كما يجب أن يشعر كل من الأم والطفل بالرضا والسعادة المتبادلة بينهما، ذلك أن الطفل فى حاجة ماسة إلى أن يشعر بأنه موضع حب وحنان أمه ومصدر سعادتها فى الحياة، كما أن الأم فى المقابل تريد أن تشعر هى أيضا أن طفلها هذا هو جزء منها أو فلذة كبدها.. وأنه أيضا امتداد لشخصيتها.

إن الأمومة مجموعة من العلاقات أو المشاعر الإنسانية السامية بين الأم وابنها أو ابنتها. وهى علاقة تبادلية بين الطرفين فهى تعطى الحب والحنان لطفلها لضمان إشباع حاجاته الطبيعية والنفسية وإحساسه بالأمن دائما معها، ثم هو يعطى السعادة والفخر لأمه كلما رأته معافى بدنيا ونفسيا، كما أنه يمنحها أجمل إحساس فى الوجود والذى تزوجت من أجله.. ألا وهو الإحساس أو الشعور بالأمومة.

ونفس ما يلقاه الطفل فى سنواته الأُوَل من أسرته ومن أمه بصفة خاصة، يجب أن يلقاه أيضا فى المدرسة عندما ينتقل إليها، من معلميه ومن زملائه الصغار.. يلقى حبا ومودة وعطفا وتقديرا للذات، بعيدا عن التدليل وذلك هو الأساس القوى الذى تقوم عليه الصحة النفسية الصحيحة للطفل والذى يجب أن تستمر معه طوال الحياة لكى يكون مواطنا صالحا وخاليا من التوتر النفسى والاضطرابات السيكوسوماتية Psychosmatic. أى النفسجسمية.

ويجب أن نشير هنا إلى أنه بالقدر الذى نطالب به الأم والمعلم بتوفير الصحة النفسية للطفل فى أسرته ومدرسته، بالقدر الذى

نطالب به كلا من الأم والمعلم بأن يكونوا هما فى صحة نفسية سليمة وأيضا مزودين بمبادئ وأسس الصحة النفسية وأهدافها السامية فى تنشئة الطفل بين أسرته وتربيته وتعليمه فى مدرسته. ذلك أن أهم ما تحتاج إليه مدارسنا وخاصة رياض الأطفال ومدارس المرحلة الابتدائية من ناحية الصحة النفسية معلمون تسمح لهم شخصياتهم وتدريبهم خلق أو إيجاد الجو الملائم أو المناسب لنمو شخصية الأطفال نموا سويا ذلك أن فاقد الشىء لا يعطيه.

والواقع أن المعلم لا تغنيه ثقافته أو مهارته وحرفته فى مهنة التدريس أو التعليم، كما لا يغنيه حب العمل والتفانى فيه، ولا يغنيه أيضا معرفته بمشاكل مهنته وأسرارها أو كما يقولون (سر المهنة) لا يغنيه أو يكفيه ذلك كله لكى ينجح فى مهنته إذا لم يكن هو نفسه ينبوعا للحب والود والاستبصار الوجدانى والقدرة على فهم تلاميذه وإدراك مشاكلهم حتى يمكن التأثير فيهم إيجابيا بتكوين تلاميذ فى صحة نفسية جيدة وصحية.

ومن أهم ما يجب أن يتحلى به المعلم بصفة عامة، ومعلم رياض الأطفال والمرحلة الابتدائية بصفة خاصة عدم استئثاره بالموقف فى التدريس أو العملية التعليمية حيث يجب اشتراك الطفل معه فى ذلك، حتى يتعلم الطفل أدب الحوار والديموقراطية فى الحديث والحوار، أى يجب أن يكون الطفل متلقيا إيجابيا ومشاركا فى

العملية التعليمية. كما يجب على المعلم عدم الإفراط فى الشدة ، أو الإفراط فى التدليل مع تلاميذه كذلك يجب عليه الترفع أو البعد عن توافه الأمور أو حمل الكراهية لزملائه أو لتلاميذه.

كما ينبغى عليه مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ سواء فى الذكاء أم الأخلاق، كما يجب عليه التحلى بالتواضع والحكمة والصبر والمعاملة الحسنة لتلاميذه. كل ذلك يشكل فى النهاية صحة نفسية صحيحة للطفل وللمعلم. هل يمكن ذلك؟!

٧ - الطفل والتربية الحديثة:

- تمهيد :

يتفق المربون ورجال تاريخ التربية على أن المفكر الفرنسى الشهير «جاك جاك روسو J.J. Rousseau » هو رسول التربية فى العصر الحديث، كما يعتبرونه مناضلا بين عهدين أو عصرين من عصور التربية وهما:

- التربية القديمة: والتى كان شعارها.. المادة الدراسية.
- التربية الحديثة.. وشعارها .. الطفل.

وقد ضمن «روسو» آراءه فى كتابة المعروف «إميل» حيث طالب بتربية الطفل فى أحضان الطبيعة وتسمى نظرية «روسو» باسم «الحركة الطبيعية». ولذلك وجدناه يطالب بأن يبعد «إميل» عن أبويه وعن المجتمع وعن مدارسه، كى يربيه وفق

الطبيعة وبين أحضانها على يد مؤدب خاص وهذا هو المعلم. ويعتبر «روسو» كتابة «إميل» إنها أعظم رسالة كتبت فى عالم التربية. ولا يقل هذا الكتاب شأنا عن كتاب أفلاطون الشهير الجمهورية و«إميل» هذا هو اسم من اختيار «روسو» قصد به الإشارة أو الرمز لكل طفل على وجه الأرض.

(أ) معنى التربية الحديثة:

قبل أن نستطرد فى عرض معنى التربية الحديثة، قد يكون من المفيد أن نشير - ولو فى إيجاز - إلى معنى التربية القديمة وأهم الأسس التى كانت تقوم عليها حتى ندرك الفرق بينها وبين التربية الحديثة الآن.

كانت التربية القديمة ترتكز أساسا على عدة اتجاهات دينية وعقلية واجتماعية وفلسفية سادت ذلك العصر الذى كانت توجد فيه، وتحالفت هذه الاتجاهات جميعها فى اتخاذ موقف معين من الطفل. ولم يقتصر الأمر على هذه الاتجاهات فحسب، بل شاركها فى اتخاذ هذا الموقف علم النفس بنظرية «الملكات» التى تقول بأن العقل يتكون من مجموعة مختلفة من القوى أو الملكات. فهناك ملكة الذكاء، وملكة الذاكرة، وملكة الإدارة، وملكة الإحساس.. الخ.

وكل واحدة من هذه القوى أو الملكات منفصلة عن الأخرى ولها فى ذاتها أثر فعال وإيجابى. ثم هى تنمو وتتدرب على ما يناسبها من الأعمال. وتتوقف قيمتها على صعوبة العمل الذى تقوم به أو تؤديه.

وقد ينظر إلى هذه الملكات على أساس أنها قوى منفصلة يمكن تقوية كل ملكة على حدة بعمل ما، أو بمواد تناسبها. وقد أخذت ملكة «الذاكرة» المكانة الأكبر بين هذه الملكات. وكانت أفضل طريقة لتدريبها وتقويتها هو حفظ مواد لا تمت إلى طبيعة الطفل وميوله بأية صلة. وقد أثبتت تجارب علم النفس الحديث بعد ذلك فساد هذه النظرية التى كانت عائقا أمام تقدم عملية التربية وطرقها المختلفة.

وكانت التربية القديمة تنظر إلى الطفل على أنه رجل صغير، ويجب معاملته على أنه رجل ناضج فى تفكيره وأعماله، وليس هناك اختلاف بين الطفل والرجال البالغين فهو يدرس ما يدرسونه من مواد ولغات ويتحدث إليه المعلم على أنه رجل ويشرح له الدرس طول الوقت، ثم يتركه مستمعا اعتقادا من المعلم بأن الطفل يفهم كل ما يقول، مع العلم بأن هذا المربى أو المعلم يقول كثيرا والطفل لا يفهم ولا يعى إلا قليلا.

كذلك كانت التربية القديمة تهتم اهتماما بالغا بالمادة الدراسية دون الطفل، حيث تقوم عملية التعليم على التلقين والحفظ والاستظهار. حتى ليقال إن المدرسة القديمة هى مدرسة المعلومات، والتعليم هو تلقين المعلومات.

وكانت الأسس التى تقوم عليها التربية القديمة هى:

- القدرية: فالطفل عليه الامتثال لكل ما يملى عليه من معلومات أو أوامر سواء من الأبوين أو من المعلمين فى المدرسة.

- الطفل شرير بطبعه: فالشر فى طبع الطفل لا يستأصله إلا مراقبة الوالدين المستمرة، كما لا يسمح له باللعب أو النشاط الحر لأنه شىء فاسد ومفسد.

- الحياة محدودة: حيث لكل فرد منا فى هذه الحياة حدود لا يجب أن يتعداها الفرد. حتى الطفل يجب أن يبقى فى مكانه ولو رغم أنفه، ووسيلة ذلك هى العقاب.

تلك هى التربية القديمة وأهم أسسها، وكذلك أهم سلبياتها أو عيوبها والتى انتقدها «روسو» وقال قولته المشهورة فيها: «سيروا ضد ما أنتم عليه.. تجدوا أنفسكم دائما فى طريق الصواب»[1].

---

(١) د. صالح عبد العزيز. رجع سابق، ص ٩٧.

كانت آراء «روسو» تمثل نظرية جديدة فى التربية آمن بها الناس، وتشيع لها عدد غير قليل من المربين من بعده، وحاولوا تطبيقها بعد تهذيبها والإضافة إليها من عصارة فكرهم وتجاربهم الميدانية، وبذلك فتحوا الطريق نحو آفاق تربوية جديدة وقدموا للإنسانية نظاما أو نوعا جديدا من التربية، شعاره: الطفل. ومن هؤلاء نذكر: بستالوتزى، فروبيل، هربارت، منتسورى، ديكرولى، وجون ديوى وغيرهم.

مميزات التربية الحديثة:

جاءت التربية الحديثة وجعلت شعارها هو: الطفل أى إن رجال التربية الحديثة اتجهوا إلى الطفل وجعلوه محور أو مركز العملية التربوية أو التعليمية.

فالطفل هو البداية.. وهو المركز أو البؤرة، وهو الهدف أو الغاية من عملية التربية.

ولقد حدد رجال التربية الحديثة أهم مميزات التربية الحديثة فى النقاط التالية:

- الاهتمام بالطفل ونموه الجسمى والعقلى والوجدانى والاجتماعى.
- احترام شخصية الطفل.
- تعليم الطفل عن طريق العمل والخبرة الشخصية.

● خلق الجو الاجتماعى الصالح لنمو الطفل وتكامل شخصيته بشكل طبيعى عن طريق سيادة أو شيوع روح الحب والتعاون بين التلاميذ وبعضهم، وبينهم وبين المعلمين وإدارة المدرسة.

● الاهتمام بصحة الطفل الجسمية والعقلية.

● إيجاد التقارب بين المدرسة والأسرة وتعاونهما معا فى تربية الطفل.. وذلك من خلال ما أطلق عليه فيما بعد اسم مجلس الآباء والمعلمين.

(ب) أهداف التربية الحديثة:

تختلف هذه الأهداف باختلاف المدارس التربوية ومفكريها وكذلك باختلاف مصادرها. فمثلا المدرسة السيكولوجية تراعى طبيعة الطفل وتعمل على تشجيعه ودعم ذاتيته من خلال تدريب حواسه وإعطائه الحرية فى العمل والنشاط وجعل التربية تقوم على روح اللعب والمرح حتى لا يمل ويصيبه الضجر. أما المدرسة الاجتماعية فإنها تراعى حاجات الزمان والمكان أى ما يراه المجتمع من تربية الطفل وتعليمه. وعلى ذلك يمكن القول إن التربية الحديثة عملة ذات وجهين.. طفل ومجتمع. ومراعاة طبيعة المجتمع تتضمن اعتبارات وقيم اجتماعية. ومع ذلك فإن الهدف الأسمى من ذلك هو الطفل وتربيته وتعليمه حتى يصير مواطنا صالحا فى مجتمع صالح.

أما مصادر أهداف أو أغراض التربية فهى فى إيجاز:

● الثقافة.. أى ثقافة المجتمع بكل ما تشمله من عناصر وسمات كالعادات والتقاليد والأعراف والقيم واللغة والدين وغير ذلك.

● نوع المجتمع وما يسوده من علاقات وعقائد أو أيديولوجيات. وبقدر تماسك المجتمع وقوته، يكون قوة وتماسك الأجهزة التى تتولى عملية التربية.

● المجتمع المحلى أو البيئة المحيطة بالطفل.. سواء أكانت بيئة طبيعية أو اجتماعية أو ثقافية. فذلك كله يؤثر فى اتجاهات وتوجهات النمو عند الأطفال.

● طبيعة العلاقة بين المجتمع وثقافته، وبين المجتمعات والثقافات الأخرى. فذلك يؤثر بلا شك فى أهداف التربية طبقا لطبيعة هذه العلاقات من حيث القوة والتماسك أو التوتر والصراعات.

● حاجات المتعلم وهو هنا الطفل، حيث يجب أن تراعى عملية التربية والتعليم، حاجات الطفل الصحية والنفسية والعقلية والأخلاقية والاقتصادية، لأن ذلك يحقق فى النهاية أهداف التربية.

هذه المصادر السابقة لها تأثير مباشر فى تحديد أهداف أو أغراض التربية، مع ملاحظة أن هذه المصادر تختلف من عصر إلى عصر، ومن وقت إلى آخر، ومن مكان إلى مكان. أى إنها تختلف باختلاف الزمان والمكان.

والآن نأتى إلى أهداف أو أغراض التربية وهى كما يلى فى إيجاز:

١ - كسب أو اكتساب المعرفة.

٢ - كسب الرزق أو العيش.

ونلاحظ هنا أن الهدف الأول هو هدف عقلى مثالى يسعى إلى تحقيق قدرة العقل والبحث عن الحقائق المجردة. أما الهدف الثانى فهو هدف مادى يسعى إلى تحقيق وسائل العيش الكريم والكفاح من أجل الحصول على الرزق.

٣ - العمل على نمو شخصية الطفل وتكاملها.

٤ - تحقيق التنمية الاقتصادية.. ذلك أن تربية الطفل وتعليمه تساعد على المدى البعيد أن يشارك الطفل فى عملية التنمية الاقتصادية وزيادة الإنتاج من خلال عمله ومشاركته كعضو فعال فى المجتمع. ولعل هذا الهدف له علاقة بالهدف الثانى.

٥ - تحقيق التماسك الاجتماعى والضبط الاجتماعى.. ذلك أن الطفل بعد أن ينمو ويكبر ويشق طريقه فى الحياة العملية بالعمل والنشاط يقوم بدوره المنتظر منه والمنوط به بإخلاص وتفانٍ، وتكون من نتيجة ذلك فى النهاية تحقيق التماسك والضبط الاجتماعى فى المجتمع.

وهذا الهدف يحقق عملية التكيف النفسى والاجتماعى الذى يحدث بين الفرد وذاته من ناحية، وبينه وبين مجتمعه من ناحية أخرى. كما أن هذا الهدف يؤكد من ناحية أخرى الغرض أو

الهدف الأخلاقى من عملية التربية، كما أنه أيضا يؤكد على الناحية الثقافية التى طالما كانت عاملا إيجابيا فى تقدم المجتمع ونهضته (فالتماسك والضبط الاجتماعى يحقق الأمن والهدوء والاستقرار فى المجتمع، مما يجعل تقدم المجتمع هدفا لكل أفراده).

(جـ) أسس أو مبادئ التربية الحديثة:

من أشهر العلماء والمربين الذى ساهموا بعلمهم وعملهم فى وضع أسس ومبادئ التربية الحديثة العالم والمربى البلجيكى «أوفين ديكرولى O. Dikroley» ويجب ألا ننسى فى هذا الصدد جهود وعلم وخبرات علماء آخرين سبقوه أو جاءوا بعده، ومن بينهم نذكر من العلماء المسلمين من أمثال ابن سينا والغزالى والفارابى وابن رشد.

ويمكن عرض هذه الأسس أو المبادئ فيما يلى:

١ - مبدأ الحرية:

حيث يتيح هذا المبدأ للطفل العمل فى المدرسة ومذاكرة دروسه واكتساب الخبرات والتجارب بنفسه دون ضغط عليه من أحد إلا بالتوجيه والإرشاد وترك الحرية له للعمل فى حدود ما طلب منه. إن تلك الحرية تساعد الطفل على العمل بجد وبصحة لتحقيق ذاته وإبراز ملكاته الشخصية حتى يحقق ما يريد. ومعنى ذلك أن الطفل هو الطرف الإيجابى فى العملية التعليمية، أما المعلم فهو الطرف الثانى الذى عليه أن يقوم بدور التوجيه والإرشاد وأن يعمل الطفل تحت إشرافه دون ضغوط أو قيود.

ولا تعنى الحرية هنا الفوضى داخل المدرسة، حيث يعمل كل طفل بمفرده وفى اتجاه مغاير أو مختلف عن الآخرين. وإنما الحرية هنا هى الانتظام والالتزام الأدبى من الطفل أمام معلمه وتحت إشرافه وطبقًا للبرنامج الموضوع للطفل لكى يعمل ويذاكر بمقتضاه ويبدع فى عمله ومذاكرته بالطريقة التى تبرز مواهبه واستعداداته.

٢ — مبدأ تحقيق الذات :

يهدف هذا المبدأ إلى أن يقوم الطفل بالتعبير عن ذاته فى كل عمل أو نشاط مدرسى يقوم به. وفى نفس الوقت يجب على المعلم أن يحترم ذات الطفل ويقدرها بل ويعمل دائمًا على تقويتها بإعطاء أو منح الطفل كل الفرص التى تساعده على تحقيق ذاته.

وكذلك يجب على المعلم عدم إيذاء الطفل أو نهره عند أى سلوك أو تصرفات قد لا تروق للمعلم أو يعتبرها خطأ وخارجه عن النظام، وإنما عليه أن يتعامل معه بالرفق والنصح والإرشاد. فالعصا إهدار وهدم لذات الطفل وشخصيته، أما النصح والإرشاد والحب فهو تسامٍ وعلو بذات الطفل وشخصيته ولذلك ينبغى على المعلم دراسة علم نفس الفروق الفردية، حتى يمكنه التعامل مع تلاميذه كل حسب ذاته أو شخصيته.

٣ – مبدأ التعليم عن طريق النشاط :

إن طريقة التعليم الطبيعية كما يرى علماء التربية والمربون هى فى أفضل صورها وحالاتها أن تكون من خلال الممارسة والتجربة. وليس بالتلقين والإصغاء والاستماع، حيث يكون التلميذ أو الطفل سلبيًا يقتصر دوره على الإصغاء والاستماع، لكل ما يقوله المعلم.

وفى هذا الصدد يقول علماء النفس إن الاستماع إلى المعلم دون مشاركة التلميذ بشكل إيجابى يفقد التلميذ ٧٥٪ مما ألقى إليه من المعلم ولا يتبقى فى ذاكرته سوى ٢٥٪ فقط مما استمع إليه.

لذلك وطبقًا لمبدأ النشاط يجب أن تترك للطفل مساحة كبيرة من العمل والنشاط، فليس المهم كمية ما يقوم به المعلم ويعلمه للتلميذ. وإنما المهم هو ما يقوم به التلميذ ويعمله بنفسه. فالتلميذ يجب أن يشترك فى تعليم نفسه، ذلك لأنه قبل أن يذهب إلى المدرسة كان يتعلم كل شىء بنفسه بالخبرة والممارسة الذاتية. كما أن التلميذ عندما يكبر ويترك المدرسة ويواجه الحياة العملية عليه أن يعتمد على نفسه فى مواجهة مشكلات الحياة ومصاعبها.

وعلى ذلك نرى أن تكون المدرسة صورة من الحياة ولهذا كان من الطبيعى أو الواجب أن يعيش التلميذ فى المدرسة كما يعيش فى خارجها. فالمدرسة صورة مصغرة من الحياة تعطى الفرصة للنمو حسبما تسمح به طبيعة التلميذ وميوله واستعداداته. لذلك

أطلق «ديكرولى» شعاره المعروف «إعداد الأطفال للحياة عن طريق الحياة»[1].

وإذا كان هدف «ديكرولى» ومدرسته هو إعداد الطفل للحياة، فهى لذلك توقفه على أسرار الحياة. ولذلك طالب ديكرولى باشتراك أولياء الأمور فى دراسة نظام المدرسة واطلاعهم على كل شىء من أجل إيجاد صلة بين البيت والمدرسة. وهذا هو ما عرف فى التربية الحديثة - وكما قلنا سابقا - باسم مجالس الآباء والمعلمين.

٤ — مبدأ اللعب :

يصلح هذا المبدأ بصفة خاصة لتلاميذ رياض الأطفال حيث يجب الابتعاد عن التدريس طبقا للمقررات الدراسية كالحساب والقراءة وغيرهما، وإنما يكون التعليم من خلال ممارسة اللعب.

واللعب هنا ليس هو نشاط اللعب الحر بدون ضوابط وإنما هو التعليم من خلال اللعب. وليس هو مجرد حركات عشوائية، وجرى هنا وهناك، وإنما اللعب نشاط منظم ينبع من داخل الطفل وله معانٍ متعددة، فهو لذة واستمتاع للطفل، وحرية وانطلاق، وأمن وسلام للذات ومع الآخرين، فهو فى النهاية مصدر لمتعة الطفل وتعلمه فى نفس الوقت.

ومن الذين استخدموا مبدأ اللعب فى التعليم نذكر الغزالى وابن سينا عند العرب والمسلمين، وفروبيل ومنتسورى فى العصر

---

(١) د. صالح عبد العزيز ود. عبد العزيز عبد المجيد، مرجع سابق، ص ٣٣٠ -٣٣٢.

الحديث. فعلى سبيل المثال نجد أن فروبيل أخترع ما أسماه «الألعاب التربوية» وهو لم يعتبر هذه الألعاب وسائل أو أدوات للاستمتاع وشغل وقت الفراغ، وإنما اعتبرها وسائل تساعد الطفل على التعليم طبقا لما يناسب استعداداته وميوله ومواهبه. أما منتسورى فاللعب عندها يهدف إلى تربية حواس الطفل كل حاسة على حده وبشكل طبيعى أو تلقائى. فهى ألعاب تثقيفية وتعليمية فى آن واحد يستخدم فيها الطفل كل ما لديه من ملكات وميول ومواهب بمهارة فى الحركة والعمل، ومعرفة مبادئ القراءة والكتابة والحساب من خلال هذا اللعب وليس من خلال مقررات دراسية فى كتب جافة وجوفاء.

تلك هى أهم مبادئ التربية الحديثة عرضنا لها فى إيجاز واضح، كما نوهنا بعدد من رجال التربية ومفكريها والمربين الذين ابتكروها وآمنوا بها وأدخلوها فى مدارسهم الفكرية والتجريبية حتى صارت من أهم سمات التربية الحديثة.

وخلاصة القول.. أن عملية التربية أو العملية التعليمية بصفة خاصة، ولكى تكون هادفة وتؤدى الدور المنوط بها من خلال أركانها أو محاورها الأربعة التى أشرنا إليها سابقا (الطفل أو التلميذ، المعلم، المنهج أو المقررات الدراسية، أو المدرسة) عليها وعن طريق القائمين عليها مراعاة ما يلى:

١ – الاهتمام بالطفل ورعاية نموه الجسمى والعقلى والوجدانى والاجتماعى.

٢ – احترام شخصية الطفل وتقدير ذاته.

٣ – تعليم الطفل عن طريق اللعب والنشاط والممارسة الفعلية والتجربة.

٤ – تعليم الطفل عن طريق العمل والخبرة الشخصية.

٥ – إيجاد أو خلق المناخ الاجتماعى الصالح لنمو الطفل وتكامل شخصيته.

٦ – الاهتمام بصحة الطفل النفسية والعقلية.

٧ – إيجاد نوع من التقارب الفعال بين البيت والمدرسة وتعاونهما فى تنشئة الطفل وتربيته أو تعليمه.

إن مراعاة هذه الأمور السبعة السابقة يمكن من خلالها وضع أسس أو لبنات من أجل خلق جيل من التلاميذ سليم ومعافى صحيا وجسميا ونفسيا وعقليا واجتماعيا يكون على استعداد لخدمة مجتمعه وبناء وطنه والعمل على نهضته وتقدمه.

كما أن هذه المحاور أو الأركان الأربعة للعملية التعليمية لابد أن تكون فى حالة تكامل منطقى ونفسى، وأن تعمل بشكل إيجابى وفعال فى الحدود التى رسمتها الدولة وخطط لها القائمون على العملية التعليمية دون تجاوز من أحد، أو دون تجاوز لأى ركن أو محور لأن ذلك قد يؤدى إلى الإخلال بالعملية التعليمية وهو الحادث الآن.

وبعد. . . كان حديثنا السابق عن موضوع التربية الحديثة حديثا فى المطلق أو فيما يجب أن يكون. أما ما هو كائن فعلا فهو أمر مختلف تماما عرضنا لبعضه فى حينه وفى مكانه وأشرنا إلى بعض السلبيات فى العملية التربوية أو التعليمية، حيث لم يكن هدفنا أو قصدنا النقد أو إظهار السلبيات وإنما كان القصد والهدف هو عرض ما يجب أن يكون ونرجو من القائمين أو المشرفين على العملية التربوية أو التعليمية، وعلى شئون الطفل مراعاة ذلك من أجل الإصلاح. وتحقق مصر ما ترجوه وتصبو إليه من تقدم وازدهار على أيدى أبنائها الذين تربوا وشبوا على نظام تعليمى سليم وناضج.

٨ – خاتمة :

التسرب المدرسى

إن الطفل هو رجل الغد، هو المستقبل، فإذا تم تنشئته اجتماعيا وثقافيا فى الأسرة، ثم تربيته أو تعليمه فى المدرسة بشكل يراعى حاجات الطفل الضرورية، أو البيولوجية وحاجاته النفسية والاجتماعية، فإننا قد نجد فى النهاية ثمرة جهدنا وتعبنا مواطنا صالحا يمكن أن يخدم مجتمعه ووطنه ويدفعه إلى التقدم والازدهار. والعكس صحيح فى هذه الحالة.. فإذا لم تتم مراعاة حاجات الطفل المختلفة، فإننا نجنى أنسانا فاشلا غير صالح يسئ إلى مجتمعه ووطنه.

ومن هنا، وجب علينا أن نبحث الوسائل التى تتم من خلالها العملية التربوية أو التعليمية دون عائق قد يعطل مسيرة أطفالنا، وتحيد بهم بعيدا عن جادة الصواب وتحقيق الأهداف الموضوعة مما يضيع علينا جهودنا ويكلف الأطفال مستقبلهم ويصبحون عوامل تهديد لتماسك المجتمع وسلامته.

ومن الظواهر المدرسية التى تثقل كاهل القائمين على العملية التربوية أو التعليمية وتفقدهم كثيرا من الجهد والوقت والمال.. ظاهرة التسرب المدرسى.

والتسرب المدرسى هو.. هروب تلاميذ المرحلة الابتدائية من المدرسة وتركهم الدراسة إلى أعمال أخرى سواء لأسباب ذاتية ترجع إلى الأطفال أنفسهم، أم إلى عوامل موضوعية تعود إلى المدرسة أو الأسرة أو البيئة المحيطة بالطفل كل على حده، أو كلها مجتمعه.

فهناك أسباب ترجع إلى الطفل نفسه منها تكوينه الصحى أو الجسمى غير السليم أو ضعف قدراته العقلية أو ذكائه أو صحته النفسية المعتلة والتى تسبب له التوتر أو الاضطراب النفسى. مما يجعله لا يستطيع التكيف أو الاندماج مع أقرانه من الأطفال الآخرين فى المدرسة.. فيلجأ إلى التغيب عن المدرسة أوًلا بشكل متقطع، ثم التسرب فى النهاية وعدم الحضور أو الذهاب إلى المدرسة نهائيا.

وقد يعود التسرب إلى عوامل موضوعية منها معاملة الوالدين وباقى أفراد الأسرة له بشىء من الشدة والقسوة، وكذلك فى المدرسة من زملائه أو من مدرسيه. كما أن البيئة قد لا تشجع الطفل على الذهاب إلى المدرسة لوعورتها أو لبعدها عن المنزل أو لسوء حالة المدرسة نفسها.

وقد يكون التسرب أكثر ظهورا بين البنات وخاصة فى الريف حيث مازال الاعتقاد سائدا بين الفئات الاجتماعية أن البنت ما خلقت إلا للمنزل تبقى فيه حتى يأتى الرجل الذى يطلبها زوجة له.. ومثل هذه الأسرة قد لا ترضى أن تذهب بنتها أيضا إلى المدرسة.

ومن المعروف تربويا أن نسبة التسرب فى المدن تقل عن القرية وذلك بسبب سهولة المواصلات وقرب المدرسة من السكن وثقافة الأبوين التى تحبذ تعليم أبنائهم، كما أن التسرب قد يؤدى دائما إلى الأمية وإلى البطالة بين غير المتعلمين.

ولعلاج ظاهرة التسرب المدرسى يجب زيادة الوعى الثقافى عند الآباء وإعادة تنشئة الأم بصفة خاصة على الأسس التربوية السليمة، وبناء المدارس بالقرب من المساكن، وسهولة المواصلات من وإلى المدرسة، وتقديم المعونات المالية للأسر الفقيرة لكى يذهب أطفالها إلى المدرسة بدلا من العمل فى الحقل أو غيره لزيادة دخل الأسرة.

إن تعليم الفتيات بصفة خاصة وعدم تهيئة المناخ لهن إلى التسرب، يجب أن تهتم به الدولة والقائمون على العملية التعليمية لأن الأم هى الدعامة التى يقوم عليها سعادة الأسرة وتماسكها وقوتها، وهذا ما يؤثر بالتالى فى سعادة المجتمع وتماسك المجتمع والوطن وقوته. ولا يسعنا أخيرا إلا أن نقول مع الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعددتها — أعددت شعبا طيب الأعراق

ولكى نقلل أيضًا من ظاهرة التسرب المدرسى يفضل دائما أن يكون المعلم فى رياض الأطفال والصفوف الأربعة الأولى من المرحلة الابتدائية من الإناث أو المعلمات لأن المعلمة هنا قد تقوم بدور البديل للأم مما يحبب المدرسة فى نظر الطفل فلا يفكر فى الهروب منها.

ويوجد أيضا بعض الصفات الهامة التى يجب توافرها فى المشرفة أو المعلمة فى مدارس رياض الأطفال والصفوف الأولى الأربعة من المرحلة الابتدائية هى:

● مؤهل تربوى من كلية التربية وخاصة قسم رياض الأطفال أو الطفولة.

● تمتلك ملكات أو قدرات الحب والمعاملة الحسنة والهدوء مما يمكنها من حس التصرف وتكوين علاقات طيبة مع تلاميذها، وفهم نفسيتهم والفروق الفردية بينهم، وكذلك فهم أنواع اللعب

والنشاط التى يحبون ممارستها مما يجعل المدرسة مكانا محببا لهم لا يودون الغياب عنه أو الهروب منه.

● أن تكون مرتبة فى عملها، نظيفة فى ملابسها حتى تكون قدوة لأطفالها أو تلاميذها.

● أن تكون على درجة عالية من النضج العاطفى والصحة النفسية والحب والمرونة فى التعامل مع الأطفال ومع المواقف الطارئة مع الأطفال حتى تستطيع اتخاذ القرار المناسب فى الوقت المناسب.

● حب العمل والرغبة فى تطوير معلوماتها بصفة دائمة بالقراءة والإطلاع وخاصة فى مجال الطفولة الوقوف على كل ما هو جديد فى أساليب العمل مع الأطفال وطرق التدريس لهم.

● أن تكون قدوة حسنة أمام تلاميذها، لديها القدرة على نقد الذات، وتحصيل المعلومات والمعرفة التى تمكنها من فهم سلوك الطفل وتصرفاته ومعرفة الأسباب أو الدوافع التى تؤثر على سلوكه وتصرفاته.

● أن تتمتع بالصحة الجيدة حتى لا تكثر من الغياب عن المدرسة وعن أطفالها بسبب المرض، وأن تكون أيضا حسنة النطق طليقة اللسان وتستعمل لغة سهلة وسليمة وصوتا هادئا وواضحا يثير الأطفال ويسمعه القريب منها والبعيد دون عناء أو صعوبة.

المراجع

أولاً: المراجع العربية :

١ - إبراهيم شحاته، وصيتى لبلادى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١.

٢ - إبراهيم عامر وأخرون، موسوعة الهلال الاشتراكية، دار الهلال ١٩٧٠.

٣ - أحمد أبو زيد، البناء الاجتماعى، الجزء الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦.

٤ - أحمد زلط الطفولة والأمومة، دار المعارف ١٩٩٢.

٥ - أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، المكتب المصرى الحديث ١٩٧٠.

٦ - أحمد كمال أحمد وعدلى سليمان، الخدمة الاجتماعية والمجتمع مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٦٣.

٧ - إسماعيل على سعد، مقدمة فى علم الاجتماع السياسى، دار المعرفة الجامعية ١٩٩١.

٨ - السيد محمد بدوى، مدخل إلى علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٤.

٩ - جلال أمين، ماذا حدث للمصريين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩.

١٠ - جمال حمدان، شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان، عالم الكتب ١٩٨٠.

١١ - حامد عبد السلام زهران، علم النفس الاجتماعى، عالم الكتب ١٩٨٤.

١٢ - حسن شحاته سعفان، أسس علم الاجتماع، دار النهضة العربية ١٩٧٦.

١٣ - حسن شحاته سعفان، علم الإنسان، منشورات مكتبة العرفان ببيروت ١٩٦٦.

١٤ - حلمى المليجى، سيكولوجية الابتكار، دار المعارف بمصر ١٩٦٨.

١٥ - ر. م. ماكيفر وتشارلزبيج، المجتمع، الجزء الأول، ترجمة السيد محمد العزاوى وآخرين، مكتبة النهضة المصرية ١٩٧١.

١٦ - سعادة حسن، كلام فى السياسة: فى روضة الأطفال، جريدة الأهرام، ١٨/ ١/ ٢٠٠٢، مأخوذة عن بحث أمل السيد خلف بعنوان: التنشئة السياسية لطفل ما قبل المدرسة من منظور الأسرة والروضة. مقدم لكلية البنات جامعة عين شمس للحصول على الدكتوراه.

١٧ - سعد جلال ومحمد علاوى، علم النفس التربوى الرياضى، دار المعارف بمصر ١٩٦٩.

١٨ - سناء الخولى: مدخل إلى علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٢.

١٩ – صالح عبد العزيز، التربية وطرق التدريس، الجزء الثالث، دار المعارف، ١٩٦٥.

٢٠ – صالح عبد العزيز وعبد العزيز عبد المجيد،التربية وطرق التدريس، الجزء الأول، دار المعارف ١٩٦٨.

٢١ – طاهر عبد الحكيم، الشخصية الوطنية المصرية، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٦.

٢٢ – د. عبد العزيز شرف، عرض لكتاب: آفاق الإبداع الفنى: رؤية نفسية للدكتور/ أحمد عكاشة، جريدة الأهرام ٢٥/ ١/ ٢٠٠٢.

٢٣ – عبد المنعم عبد الحى، أسس علم الاجتماع، مكتب فوزى الشيمى ١٩٨٦.

٢٤ – على عبد الواحد وافى، فى التربية، المطبعة الرحمانية ١٩٣٤.

٢٥ – على محمد شلتوت، علم الاجتماع التربوى، مطبعة الشاعر ١٩٦٩.

٢٦ – قبارى إسماعيل، علم الاجتماع الثقافى، منشأة المعارف الإسكندرية ١٩٨٢.

٢٧ – كمال دسوقى، الاجتماع ودراسة المجتمع، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧١.

٢٨ – محمد أحمد بيومى، المجتمع والثقافة والشخصية، دار المعرفة الجامعية، بدون تاريخ.

٢٩ – محمد سعيد فرح، الطفولة والثقافة والمجتمع، منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٨٠.

٣٠ - محمد سعيد فرح، الشخصية القومية، منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٨١.

٣١ - محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩.

٣٢- محمد عاطف غيث، مقدمة فى علم الاجتماع، دار المعارف بمصر ١٩٦٢.

٣٣ - محمد على محمد وآخرون، المجتمع والثقافة والشخصية، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٣.

٣٤ - محيى الدين صابر، التغير الحضارى وتنمية المجتمع، دار المعارف بمصر ١٩٦٢.

٣٥- مصطفى الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه، الكتاب الثانى، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٥.

٣٦- موريس جينزبرج، علم الاجتماع، ترجمة فؤاد زكريا، مجموعة الألف كتاب، رقم ١٢٨، دار سعد مصر، بدون تاريخ.

٣٧ - نعمات أحمد فؤاد، شخصية مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨.

٣٨ - وليم و. لامبرت ووالاس إ. لامبرت، علم النفس الاجتماعى، ترجمة د. سلوى الملا، دار الشروق ١٩٨٩.

٣٩ - يوسف ميخائيل سعد، قوة الإرادة، مكتبة غريب ١٩٧٥.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

1. Billington, Rosamund & others, Culture and society: A Sociology of culture, Macmillan, Education, LTD., London, 1991..

2. Brody, Nathan, Personality in search of individuality Academic Press, Ine., San Diego, California, 1988.

3. Cohen, Bruce, J. Introduction to Sociology, Schaum's outline series, McGraw- Hill Book company New York. 1979, p. 46.

4. Conklin, John, E., Sociology: An Introduction, Macmillan Publishing Co., Inc., New York, 1984.

5. Cvertkovich, Gearge & others, social psychology:

contemporary perspectives on people, Holt, Rinehart and Winston, New Yow, 1984.

6. Davidoff, Linda L., Introduction to psychology, MeGrow-Hill international Book Company, Koga Kusha, LTD., 1981.

7. Dressler, Daivd & carns, Donald, Soeiology, Second edition, Published by Alfred A. knopf. New York, 1973.

8. Fredrick Elkin & Gerald Handel, The Child and Society, The Process of Socialization, N.Y. Random House, 1972.

9. Group of authers, Man and Society, Progress Publishers, Moscow, 1966, P. 11.

10. Horton, B., Paul, & Hunt, L., Chester, Sociology, MeGraw Hill, Kogakusha, LTD, Tokyo, 1976.

11. Hobbe, Donald, A., & Blank, J., Sociology and the human experience, Macmillan Pablishing Company, New York. 1986.

12. Karnouk, Liliane, Modern Egyptian Art, The american University press in Cairo, 1988.

13. Kerbo, harold, R., Sociology: Social structure and social conflict, Macmillanpublishing company, New York, 1981.

14. Kessing, Roger, M.Culture Anthropology: A contemporony perspective Holt Rinehartand Winston, New York, 1981.

15. Lindzy, Gardner & Aronson, Elliot, The handbook of Social Psghology, Volume five, Addisson- Wesley Publishing Company. Inc., California, 1969.

16. Mann Philip, A community psychology concepts and applications, the free press,advision of Macmillan puplishing co., Inc., Ney Yourk 1978.

17. Mckee, James, B., Introduction toSociology, Holt, Rinehart and winston, Inc., New York, 1969.

18. Nanda, Serena, Cultural Anthropology, third ed., Wadsworth Publishing Company, Belmont, California, 1987.

19. N'Diaye, Papa. Gueye, Cultural Development: Some regional experience. The unesco press, Paris, 1981.

20. Saks, Michael, J., & Krupat, Edward, Social Psychology and its applications, Harper & Row, Publishers, New York, 1988.

21. Samuel. William, Personality: Searching for the source of human behavior, McGrow-Hill, International Book Company, Inc., California, 1981.

22. Seidnberg, Bernard & Sandowsky, A., Social psychology: An introductuin, The free press Adivision of Macmillan Publishing Co., Inc., New York, 1976.

23. Sites, paul, Control and constraint: An introduction to sociology, Macmillan publishing co., Ine., New York. 1975.

24. Sperling, Abraham. Paychology made Simple, W.H Allen & Company. London, 1967.

25. Staub, Ervin, personality; basic Aspects and current research, Printice – hall, Inc Englewoode cliffs, N. J., 1980.

26. Sumpf Joseph etHugues Michel, Dictionnaire deSociologie, librairie Larousse, Paris, 1973.

27. Yorburg, Betty, introduction to sociology & Row, publishers, New York, 1982.

الفهرس

العدد القادم

شخصيات مصرية فذّة

د. جلال أمين

إشترك فى سلسلة اقرأ تضمن وصولها إليك بانتظام

الإشتراك السنوى:

- داخل جمهورية مصر العربية ٣٦ جنيهاً
- الدول العربية واتحاد البريد العربى ٥٠ دولاراً أمريكيًّا
- الدول الأجنبية ٧٥ دولاراً أمريكيًّا

تسدد قيمة الإشتراكات مقدماً نقداً أو بشيكات بإدارة الإشتراكات بمؤسسة الأهرام بشارع الجلاء - القاهرة.

أو بمجلة أكتوبر ١١١٩ كورنيش النيل - ماسبيرو - القاهرة.

رقم الإيداع	٢٠٠٢/١٩٧٨٦	
الترقيم الدولى	977-02-6388-5	ISBN

١/٢٠٠٢/٥٤

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)

تنشئة الطفل — موضوع هذا الكتاب — هو الشاغل الأعظم للعاملين في مجال الطفولة، لأن أطفال اليوم هم رجال الغد وصناع المستقبل.. وهذا الكتاب يلقي الضوء على أحدث أساليب تربية الأطفال، وكيفية غرس القيم النبيلة في نفوسهم وتبصيرهم بحقوقهم ووجباتهم ، وهو مرشد إلى تنشئة الأطفال.. وإعادة التنشئة أيضا. كما يوضح أهم أساليب التنشئة الاجتماعية والثقافية والتعليمية.. ومشكلة التسرب المدرسي.. وأسبابها ووسائل علاجها..

كتاب يهم القارئ والمتخصص والأسرة. وكل العاملين في مجال الطفل.





دار المعارف
٠١/ ٤٠٧٣٨٨

